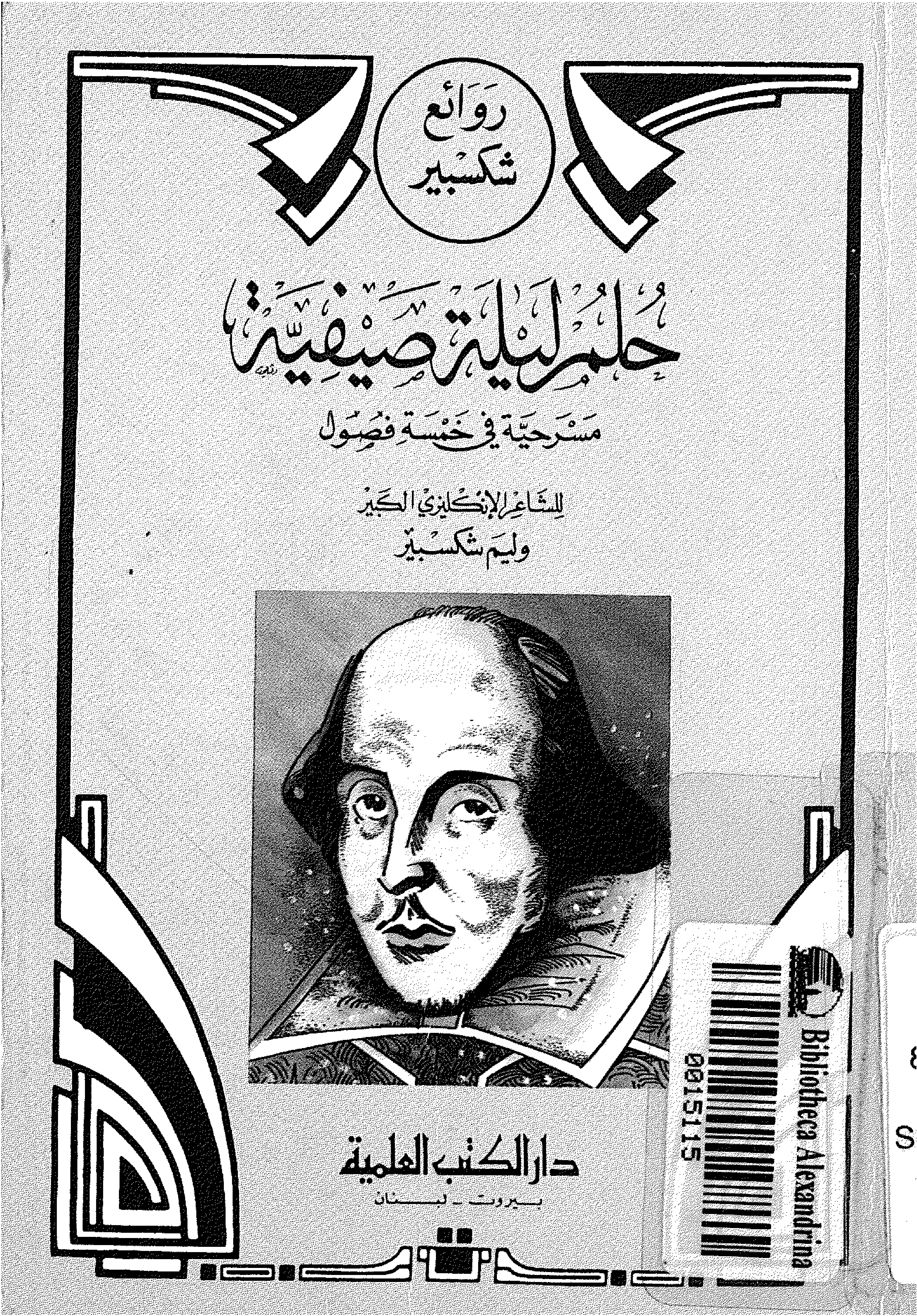


روائع شكسبير

حلم ليلة صيفية

مسرحية في خمسة فصول

للشاعر الإنكليزي الكبير

وليم شكسبير

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

حُلمُ لَيلةٍ صَيفيّة

مَسْرَحيّة في خَمْسَةِ فصُول

للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير



الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

وليم شكسبير
(١٥٦٤ ـ ١٦١٦)

أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز ، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي إن لم يكن أبرزها على الإطلاق . يصعب تحديد عبقريته بمعيار بعينه من معايير النقد الأدبي ، وإن كانت حِكَمُه التي وضعها على لسان شخصيات رواياته خالدة في كل زمان .

هناك تكهنات وروايات عديدة عن حقيقة شخصيته التي يكتنفها الغموض والإبهام ، وعن حياته التي لا يعرف عنها إلا القدر اليسير . والثابت أن أباه كان رجلاً له مكانته في المجتمع ، وكانت أمه من عائلة ميسورة الحال . وقيل إنه بلغ حدّاً من التعليم مكّنه من التدريس في بلدته ستراتفورد ـ أون ـ آفون ، التي يوجد بها الآن مسرح يسمى باسمه ، يقوم بالتمثيل على خشبته أكبر الممثلين المتخصصين في رواياته . ومن الثابت أيضاً أنه تزوج من آن هاتاواي ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .

في سنة ١٥٨٨ انتقل إلى لندن وربط حياته بالمسرح هناك . وفي سنة ١٥٨٩ أُخرجت أولى مسرحياته ، وهي إما مسرحية « كوميديا الأغلاط » أو الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس » . وفي سنة ١٥٩٩ اشترك في إدارة مسرح غلوب الشهير .

وقد كان شكسبير رجل عصره على الرغم من عالمية فنه ، إذ تأثر إلى حدّ بعيد بمعاصريه من كتّـاب المسرح مثل توماس كيد وكريستوفر مارلو ، وخاطب مثلهم الذوق الشعبي في عصره ، وهو الذوق الذي كان يهوى المآسي التاريخية بما فيها من عنف ومشاهد دامية . كما كان يهوى المشاهد الهزلية ذات الطابع المكشوف التي كانت تتخلل المسرحيات التراجيدية لتخفف من حدة وقعها .

غير أن شكسبير هذّب القصص التي نقلها عن المؤرخ هوليتشد لتاريخ انكلترا واسكوتلندا ، كما هو الحال في مسرحيات « مكبث» و« الملك لير » و« سمبلين » و « ريتشارد الثالث » . وعن المؤرخ الروماني بلوتارك ، كما في مسرحية « أنطوني وكليوباطرا » . وأضف إلى ذلك كله عمق تحليله للنفس البشرية ، فضلاً عن شاعريته الفياضة في تصوير المواقف التاريخية والعاطفية الخالدة ، حتى جعل من المسرح الإنكليزي فناً عالمياً رفيعاً .

ومن المتفق عليه بين معظم الباحثين والدارسين أن ٣٨ من المسرحيات لا يشك في نسبتها إليه ، وأن مراحل إنتاجه الأدبي يمكن تقسيمها إلى مراحل أربع :

أولاهـا : (١٥٩٠ ـ ١٥٩٤) وتحوي مجموعة من المسرحيات التاريخية منها « كوميديا الأغلاط » و « هنري السادس » و « تيتوس أندرونيكوس » و « السيدان من فيرونا » و « جهد الحب الضائع » و « الملك جون » و « ريتشارد الثالث » و « ترويض النمرة » .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الغنائية (١٥٩٥ ـ ١٦٠٠)

وتشتمل على معظم قصائده الشهيرة وبعض مسرحياته الخفيفة ، مثل « ريتشارد الثاني » و « حلم منتصف ليلة صيف » و « تاجر البندقية » التي ترجمت جميعاً إلى العربية مع بعض روائعه الشهيرة مثل « روميو وجولييت » و « هنري الخامس » و « يوليوس قيصر » و« كما تهواه » وقد ترجمت جميعاً إلى العربية أيضاً.

ومن مسرحيات هذه المرحلة كذلك « زوجات وندسور المرحات » و « ضجيج ولا طحن » .

المرحلة الثالثة : وهي أهم المراحل على الإطلاق ، إذ تمثل قمة نضوجه الفني ؛ فقد كتب فيها أعظم مسرحياته التراجيدية ، مثل « هاملت » و « عطيل » و« الملك لير » و« مكبث » و« أنطوني وكليوباطرا » و« بركليز » و « كريوليينس » و « دقة بدقة » ، وقد ترجم معظمها إلى العربية ، ومنها ما ترجم أكثر من مرة ، ومنها ما بلغ عدد ترجماته العشرة مثل « هاملت » .

ومن مسرحيات هذه المرحلة أيضاً « تيمون الأثيني» و « خير ما انتهى بخير » .

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي اختتم بها حياته الفنية (١٦٠٩ ـ ١٦١٣) ، وقد اشتملت على مسرحيات « هنري الثامن » و « العاصفة » مما ترجم إلى العربية ، وعلى مسرحيتي « قصة الشتاء » و« سمبلين » .

وفي هذه المرحلة نجد العواطف النفسية العنيفة وقد خبت وتحولت في نفس الشاعر إلى نظرة تقبل ورضى وأمل وتأمل .

هذا وقد نسب بعض النقاد المتقدمين مؤلفاته إلى آخرين ، منهم الفيلسوف فرنسيس بيكون ، ومنهم إيرل اكسفورد . وقال

آخرون إنه من أصل عربي وإن اسمه جاء تحريفاً لاسم الشيخ زبير . وكلها أقوال لم تثبت بالأدلة القاطعة ولم يقم عليها الدليل العلمي وإن كانت هناك بحوث كثيرة في هذا الصدد . ولقد اشترك كثير من كبار الشعراء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جمع مسرحياته ونقدها ، وإن اختلفت وجهات النظر وتعددت أساليب النقد . ففي القرن الثامن عشر اعترض كتّاب من أمثال « دريدن » و « بوب » على ما اعتبروه إسراف شكسبير في الخيال والتعبير . أما شعراء القرن التاسع عشر من أمثال « كولريدج » فقد أعطوا الشاعر الكبير ما يستحقه من التقدير ، وكذلك الحال بالنسبة إلى نقاد القرن العشرين ، من أمثال « ت . س . اليوت » ممن أكدوا عالمية فنه وخلود أدبه .

هذا وقد كان لشكسبير أثره الكبير في آداب جميع الأمم على الإطلاق ، وتأثر به جميع الكتاب والشعراء والأدباء في كل البلدان وفي كل العصور ، في القارة الأوروبية وفي الأمريكتين وفي غير ذلك من القارات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر خاصة ، وفي غير ذلك من القرون . أما في الأدب العربي فقد تأثر به كثير من الأدباء ، وترجمت معظم مسرحياته ، وقدمت في المسرح والسينما والإذاعة .

ونحن ، في دار الكتب العلمية ، إذ يسرنا أن نقدم إلى القراء الكرام أشهر مسرحيات شكسبير المعربة ، نتمنى أن يكون ذلك دافعاً لمزيد من التمازج والتلاقح بين الثقافة العربية العظيمة ومختلف الثقافات الأجنبية ، تمهيداً لإنشاء ثقافة إنسانية واحدة متكاملة . وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم .

أشخاص المسرحية

تاسيوس : دوق أثينا .

إيبوليتا : ملكة الأمازون وخطيبة تاسيوس .

إيجيوس : والد هيرميا .

هيرميا : ابنة إيجيوس : (تحب ليساندر) .

هيلينا : تحب ديمتريوس .

ليساندر
ديمتريوس } يحبان هيرميا .

فيلوسترات : مدير حفلات تاسيوس .

بيتر كوينس
سونغ } نجاران .

بوتوم :حائك .

فلوت : نافخ الكير .

سنوت : حداد .

ستارافلنج : خياط .

أوبيرون : ملك الجن .

تيتانيا : ملكة الجن .

باك
زهرة البازلاء
نسيج العنكبوت من الجن .
فراشة
حبة الخردل

عدد من أتباع ملك وملكة الجن .
عدد من أتباع تاسيوس وإيبوليتا .

الفصل الأول

المشهد الأول

(المكان : أثينا ـ قصر تاسيوس)

(يدخل تاسيوس وإيبوليتا وفيلسترات وآخرو)

تاسيوس : والآن يا حبيبتي إيبوليتا ها نحن ندنو من ساعة زواجنا ؛ فبعد أربعة أيام يهل بدر جديد ، ولكن يظهر لي أن الهلال القديم بطيء الزوال يذهب بأمنياتي وكأنه زوج أب أو وارثة تفني شباب رجل يعد نفسه بثروتها .

إيبوليتا : أربعة أيام سريعاً ما تتبدل إلى ليالٍ وأربعة ليال سريعاً ما تنتقص بأحلامها من عمر الزمن وعندها سيهل القمر على صفحة السماء وكأنه قوس فضي يشرق على ليلة زواجنا .

تاسيوس : اذهب يا فيلسترات وألهب في الشباب الأثيني مشاعر الأفراح وأيقظ فيهم روح اللهو والطرب وليكن الحزن مقصوراً على الجنائز وحدها . فليس صاحب الوجه

الكئيب من شركاء فرحتنا .

(يخرج فيلسترات)

(تاسيوس يحدث نفسه) :

تاسيوس : إيبوليتا . . لقد خطبتك بنصلٍ السيف ، وكسبت ودادك برغم ما سببته لك من جراح ، ولكني سأتزوج بك على لحن آخر خلفه تلفه الأبهة والنصر والبهجة .

(يدخل إيجيوس وهيرميا وليساندر وديمتريوس)

إيجيوس : فلتحفك السعادة أيها الدوق المحترم .

تاسيوس : شكراً لك يا إيجيوس الطيب ، ما أخبارك ؟ .

إيجيوس : أحس بضيق شديد وقد أتيت أنفّس كربتي بالشكوى من طفلتي ، ابنتي هيرميا . تقدم يا ديمتريوس ، يا مولاي النبيل . . لقد نال هذا الرجل موافقتي على الزواج منها ، تقدم يا ليساندر ، يا مولاي الكريم . . هذا الرجل سحر فؤاد صغيرتي المدللة . أجل أنت يا ليساندر قد أسمعتها أبيات الشعر ، وكلمتها بأحاديث الحب ، وغنيت على نافذتها تحت ضوء القمر ، بصوت العاشق المتيم ، أغاني الحب الماكر وملكت عواطفها وملأت أحلامها

بأساور من شعرك وخواتم وزينة وخِدَع
وألاعيب وأشياء صغيرة ، وبباقات الورود
والحلوى ذات التأثير الشديد في الشباب
اليافع . وهكذا استلبت بالمكر قلب ابنتي
وحولت طاعتها الواجبة لي إلى عقوق
وعناد .

يا مولاي الكريم ، إذا لم توافق ابنتي ،
أمام سموكم ، على الزواج من ديمتريوس
فإنني أطالب بتطبيق واجب الأبوة الأثيني
القديم ؛ إذ طالما هي تحت كنفي يحق
لي أن أتخلص منها إما إلى هذا السيد وإما
إلى حتفها طبقاً لشريعة قانوننا الذي ينص
على ذلك صراحة .

تاسيوس : ماذا تقولين يا هيرميا ؟ انتصحي أيتها الفتاة
الجميلة ولتعلمي أن والدك بالنسبة لك
كالإله . فالذي صاغ جمالك تكونين له
كشكل من الشمع ، يصوغك كيف أراد ،
فهو يمتلك أن يجعلك على هيئتك هذه أو
يشوهك ، وإن ديمتريوس لسيد خليق
بك .

هيرميا : وكذلك ليساندر .

تاسيوس : هو في حد ذاته كذلك ، ولكن في هذا
الموقف الذي يحتاج إلى موافقة والدك

فإن ديمتريوس أحق بك من ليساندر .

هيرميا : ليت أبي يراه بعيني .

تاسيوس : أو تراه عيناك من خلال حكمه ؟ .

هيرميا : إني أستميح سموكم عذراً ، فأنا لا أعلم القوة التي تعطيني الشجاعة ولا أعلم كيف يؤثر ذلك في خجلي ، حين أقف أمامكم لأدافع عن آرائي ولكني أطلب من سموكم أن تعلموني عن أسوأ ما قد يصيبني إذا رفضت الاقتران بديمتريوس .

تاسيوس : إما أن تموتي وإما أن تعتزلي مجتمع الرجال إلى الأبد . لأجل ذلك يا هيرميا الجميلة فإني آمل أن تراجعي رغباتك وتختبري شبابك ومعدن دمك لتعرفي ـ في حالة رفضك إرادة أبيك ـ هل تستطيعين تحمل حياة الرهبنة وظلمة الدير تعيشين حياة الراهبة القاحلة طوال حياتك ، ترتلين الأناشيد الخافتة للقمر البارد العقيم . لعل الله يبارك ثلاثاً ، أولئك اللاتي يحتملن تلك الحياة ويقطعن رحلة العمر في تبتل ورهبنة . ألا إن الوردة التي تندي لأكثر سعادة على هذه الأرض من تلك التي تفني حياتها في عذرية محاطة بالأشواك ، تنمو وتحيا

وتموت في وحدة مباركة .

هيرميا : هكذا سأكبر وهكذا سأحيا وسأموت يا سيدي قبل أن أسلم عذريتي لهذا السيد الذي ترفض روحي أن تسلم قيادها لنيره .

تاسيوس : خذي وقتاً للتفكير الهادىء ، وعند ظهور القمر الهلال الجديد ، أي يوم الموعد بيني وبين حبيبتي من أجل أن نرتبط برباط الشراكة الأبدية سيكون عليك أن تستعدي إما للموت ، لمخالفتك إرادة والدك وإما للزواج من ديمتريوس كما يبغي أو أن تقرري في - ذلك اليوم - الالتزام بحياة التقشف والعزلة .

ديمتريوس : أرضخي للأمر يا هيرميا الحلوة ، وأنت يا ليساندر سلِّم مرادك المجنون إلى حقي الأكيد .

ليساندر : لقد حظيت يا ديمتريوس بحب والدها فدع لي حب هيرميا .
لماذا لا تتزوج من والدها .

إيجيوس : يا ليساندر البغيض ، حقاً حظيَ ديمتريوس بحبي وسيقدم له هذا الحب ما امتلكه . إنها ملكي وكل ما أمتلكه فيها من حق سيكون من نصيب ديمتريوس .

ليساندر : أنا يا مولاي لا أقلُّ حسباً ولا ثروة عن ديمتريوس ، وحبي لها يفوق حبه وثروتي إن لم تنف على ثروته فهي لا تقل عنها . وفوق ذلك أقول ، على سبيل الفخر ، إنني أحظى بحب هيرميا الجميلة فلماذا لا أطالب بحقي ، وها أنا أعلن ، أمام ديمتريوس ، أنه بث غرامه لهيلينا ابنة « نيدار » وامتلك بذلك روحها فأصبحت الفتاة الجميلة عاشقة له بل ومخلصة في عشقها تكاد تعبد هذا الرجل الملوث المتقلب .

تاسيوس : لا بد لي أن أعترف إني سمعت الكثير عن هذا الأمر . وقد رأيت أن أتكلم إلى ديمتريوس فيه ، ولكن انشغالي الدائم أنساني ذلك . تعال يا ديمتريوس وأنت يا إيجيوس فسوف تذهبان معي فإن لي عتاباً خاصاً عليكما . أما أنتِ يا هيرميا فلتحم نفسك بجعل أحلامك توافق إرادة والدك وإلا فإن قانون أثينا سوف يطالك ، وعندئذ فلن يكون باستطاعتنا ـ مطلقاً ـ أن نخفف من حكمه عليك . فإما أن ترسلي لمجابهة الموت وإما إلى العزلة . . . تعالي يا حبيبتي إيبوليتا . . ماذا يفرح

حبيبتي ؟ أتبعانا يا ديمتريوس ويا إيجيوس فسأكلفكما بعمل يخص زواجنا وأتداول معكما بأمر يخصكما .

إيجيوس : نتابعك بناء على رغبة ، وإحساساً بالواجب .

(يخرج تاسيوس وإيبوليتا وإيجيوس وديمتريوس والمرافقون)

ليساندر : كيف أنتِ الآن يا حبيبتي ؟ لماذا تبدو وجنتاك شاحبتين . كيف يتسنى للأزهار أن تشحب هكذا .

هيرميا : ربما كانت راغبة في السقيا التي أستطيع أن أسكبها على الأزهار من دموعي الساخنة .

ليساندر : ويلي . . إن ما أقدر قراءته وسماعه عن القصص والتاريخ يقول إن درب الحب لا تسير ممهدة فإما اختلاف في العنصر . . .

هيرميا : يا لله ، أَوَ يَتَطَلَّعُ الإنسان إلى الأعالي فيُرَدُّ إلى الحضيض ؟ .

ليساندر : أو أن يكون هنالك فرق في السن ؟ .

هيرميا : يا للغبن ، أو أن يكون متقدماً في العمر يرى صالحاً لخطبة الشباب ؟ .

ليساندر : أو يتوقف الأمر على اختيار الأصدقاء ؟ .

هيرميا : يا للشقاء . . أن يُختار الحبيب بأعين الآخرين .

ليساندر : أو إذا كان الاختيار قائماً على العاطفة ، يحول دونه الوغى والمنون أو المرض فتصبح العاطفة ذكرى كالصدى ، سريعة كالظلال ، قصيرة كالأحلام ، وخاطفة كالبرق في الليل المدلهم الحالك . إن ما في الصدور من ضغن يعري السماء والأرض وقبل أن يكون باستطاعة الإنسان أن يقول شيئاً يتوقف ، فإذا غول الظلام يبتلع تلك القدرة ، وبسرعة خاطفة تتحول الأشياء الجلية إلى المجهول .

هيرميا : فإذا كان مصير المحبين ، في كل زمان ، أن يفاجأوا فإن ذلك هو قرار القدر وليس علينا ـ إذن ـ إلا أن نضفي الصبر على محاولتنا لأن ما نواجهه هو أمر معتاد ، ومفروض على الحب تماماً كما فرضت عليه الأفكار والأحلام والتنهدات والرغبات والدموع ، فهذه كلها من تبعات الحب المسكين .

ليساندر : منطق معقول ، إذن أنصتي إلي يا هيرميا ، لي عمة أرملة ورثت ثروة كبيرة ولم ترزق أولاداً ويبعد بيتها عن أثينا

بمقدار سبعة فراسخ ، وهي تحبني وتعاملني كأنني ابنها الوحيد . هنالك يا هيرميا العزيزة يمكنني أن أتزوجك . وفي ذلك المكان لا يمكن لقانون أثينا الظالم أن يلحق بنا ، فإذا كنت تحبينني حقاً فاخرجي من بيت أبيك مساء غد وهنالك في الغابة ، على بعد فرسخ من المدينة ، حيث قابلتك مرة مع « هيلينا » صباح يوم من أيام شهر أيار . . . سأكون بانتظارك .

هيرميا : يا عزيزي ليساندر أحلف لك بأقوى أقواس كيوبيد وبأحسن سهم عنده ، ذلك السهم ذو الرأس الذهبية ، بل وأحلف بوداعة حمامات فينوس وبذلك الذي يؤلف بين الأرواح ويزهر الحب ، وبالنار التي حرقت ملكة قرطاجة عندما شوهد الطروادي الكاذب يبحر ، وأحلف بكل المواثيق التي حنث بها الرجال والتي زادت عما حنثت به النساء ، في ذلك المكان الذي حددته لي سأكون مساء غد بانتظار لقائك .

ليساندر : حافظي على عهدك يا حبيبتي . . . أنظري ها هي هيلينا آتية .

هيرميا : رافقتك السلامة ، إلى أين أنت ذاهبة يا

هيلينا الجميلة ؟ .

هيلينا : هل تصفينني بالجميلة ؟ لاتتفوهي بذلك مرة أخرى ، إن ديمتريوس يحب جمالك أنتِ ويا له من جمال سعيد فعيناك نجمان متألقان ، ولسانك ينفث حلاوة أحلى وقعاً من صوت الكروان على أذن الراعي ؛ فعندما يخضر القمر وتزهر براعم الزعرور البري تبدأ العدوى ، كم كنت أحب ، قبل أن أذهب ، أن آخذ العدوى منك يا هيرميا الجميلة فتعدي أذني بصوتك وتعدي لساني بألحان لسانك الحلوة ، فلو ملكتُ العالم بأسره دون ديمتريوس لأعطيتك العالم كله من أجله أو علّميني كيف تنظرين ؟ وبأي فن تسيطرين على قلب ديمتريوس ؟ .

هيرميا : إنني أعبس في وجهه ورغم ذلك فهو يحبني .

هيلينا : إذن ستتعلم بسماتي هذه المقدرة من عبوسك .

هيرميا : إنني أتبعه باللعنات وهو يمنحني الحب مقابل ذلك .

هيلينا : ليت توسلاتي تحرك مثل هذا الحب !

هيرميا : كلما ازددتُ كراهية له ازداد حباً لي . . .

هيلينا : وكلما ازددتُ حباً له ازداد كراهية لي .

هيرميا : إن ذنبه ليس من خطأي يا هيلينا .

هيلينا : لا . ولكنه جمالك . . . ليته كان من ذنوبي . . .

هيرميا : كوني مرتاحة البال ، فهو لن يرى وجهي ثانية سنفر- أنا وليساندر- من هذا المكان . فقبل أن ألتقي ليساندر كنت أحسب أثينا جنة بالنسبة لي أوه . . ما أكثر المحاسن التي يحفل بها حبيبي ، تلك التي جعلت الجنة تستحيل إلى جحيم في ناظري .

ليساندر : هيلينا . . سأخبرك بما يدور في عقلينا ؛ مساء غد عندما تبصر الشمس وجهها على صفحة الماء وتلقي على الحشائش قطرات من اللؤلؤ السائل سيكون ذلك هو الزمن الذي يستر هروب العاشقين فقد نوينا الفرار عبر بوابات أثينا .

هيرميا : وفي الغابة حيث تعودنا أنا وأنت أن نستلقي على فرش من الورود الشاحبة نفرغ ما في صدرينا من أفكار جميلة . هنالك سألتقي أنا وليساندر ومن ثم

سنشيح بعيوننا عن أثينا نفتش عن أصدقاء
جدد ورفقة غرباء . وداعاً يا رفيقة الصبا
وصلّي لأجلنا وليمنحك الحظ
ديمتريوس . حافظ يا ليساندر على وعدك
ولنحرم أبصارنا من طعام المحبين حتى
منتصف ليلة الغد .

ليساندر : سأكون عند وعدي يا هيرميا .

(تخرج هيرميا)

أستودعك يا هيلينا وأسأل الله أن يحبك
ديمتريوس كما تحبينه .

(يخرج)

هيلينا : ما أسعد حظ بعض الأشخاص وما أقل
حظ الآخرين . إنهم في أثينا
يعتبرونني جميلة مثلها ما عدا
ديمتريوس ، فهو لا يراني كذلك وأنّى له
أن يعرف ما يعلمه الجميع وكما يخطىء
هو بالهيام في عيني هيرميا كذلك أخطىء
أنا بالافتتان به . إن الأشياء الحقيرة
الوضيعة التي لا قيمة لها يحيلها الحب
إلى أشياء قيِّمة ؛ ذلك أن الحب لا ينظر
بالعينين بل ينظر بالعقل ومن أجل ذلك
صوروا كيوبيد ذا الجناحين أعمى ؛ إذ
ليس للحب عقل يسترشد بالحكمة ،

وهكذا فالأجنحة بلا عيون تصور العجلة مع الرعونة . لذلك قالوا إن الحب طفل لأنه كثيراً ما يخدع في الاختيار وكما يلعن الأولاد الهازلون أنفسهم كذلك فإن غـلام الحب حانث بعهده في كل مكان . فقبل أن تقع عينا ديمتريوس على عيني هيرميا عاهد نفسه أن يكون لي ، وعندما أحسَّ بحرارة هيرميا حلَّل نفسه من عهده ، وذابت ثلوجه فهطلت أمطار عهوده . سأذهب لأبلغ ديمتريوس بهروب هيرميا حتى يتتبعها في الغابة مساء غد . وإذا كان لي الشكر على هذا النبأ فسأكون قد ابتعته بثمن غال فأنا أقصد أن أزيد آلامي بأن أراه يذهب إلى هناك ثم يعود .

(تخرج)

المشهد الثاني

المكان : (غرفة في بيت كوينس ، يدخل كوينس وبيده نص مسرحية ، يدخل سونغ وبوتوم وفلوت وسنوت وستارفلنغ) .

كوينس : هل جميع أعضاء الفرقة ها هنا ؟ .

بوتوم : بإمكانك أن تناديهم فرداً فرداً بحسب النص .

كوينس : هذه قائمة بأسماء الرجال الصالحين من رجال أثينا حتى يقوم كل منهم بدوره أمام الدوق والدوقة في ليلة الزواج .

بوتوم : عليك أن تذكر أولاً ، يا بيتر كوينس الطيب ، موضوع المسرحية ثم تتبع ذلك بأسماء الممثلين وبذلك تكون قد أصبت الهدف .

كوينس : مسرحيتنا هي من أكثر الملاهي إثارة للحزن وموضوعها الموت القاسي للحبيبين بيراموس وثسبي .

بوتوم : أؤكد لكم أنها قطعة رائعة وطريفة ، والآن يا بيتر كوينس الطيب.نادِ أسماء الممثلين بحسب القائمة وأنتم أيها السادة تباعدوا .

كوينس : ردّوا حين أناديكم ، « ناك بـوتوم » الحائك .

بوتوم : حاضر . وضِّح لي أي دور سأمثله ثم تابع .

كوينس : أنت يا ناك بوتوم ستقوم بدور بيراموس .

بوتوم : ومن هو بيراموس هذا ؟ هل هو محب أم طاغية ؟ .

كوينس : محب يُفدي نفسه بكل شجاعة من أجل الحب .

بوتوم : ذلك يستوجب بعض الدموع ساعة التمثيل الحقيقي ، وإذا فعلت ذلك فلينظر المشاهدون إلى عيونهم ، وإذا كنت سأثير عاصفة فإنني سأواسي المشاهدين بشكل ما ، وعلى أي حال فإنني أفضل دور الطاغية . بإمكاني أن أمثل دور هرقل أو أي دور مثير يفلق الصخور الصماء ، ويثير الهزّات الراعشة التي تكسر أقفال بوابات السجون ، وتُرى عربة إلّه الشمس من بعيد وهو يقدر ويعبث بالأقدار السخيفة . هذا شيء عظيم . والآن سَمِّ بقية الممثلين هذا دور هرقل وهو دور طاغية ، غير أن دور العاشق أكثر ملاءمة منه .

كوينس : فرانسيس فلوت نافخ الكير .
فلوت : ها أنذا يا بيتر كوينس .
كوينس : ستقوم بدور ثسبي .
فلوت : وما يكون ثسبي هذا ؟ أهو فارس جوّال ؟ .
كوينس : إنها الفتاة التى يحبها بيراموس .
فلوت : كلا ، كلا ، لن أقوم بدور امرأة ولحيتي في طريقها إلى الظهور .
كوينس : هذا لا يؤثر . . ستضع قناعاً على وجهك ولك مطلق الحرية في ترفيع صوتك .
بوتوم : إذا كان بالإمكان ستر وجهي ، فاتركني أمثل دور ثسبي أيضاً . . . سأرفع صوتي إلى أقصى حد ممكن . . آه بيراموس يا حبيبي العزيز أنا ثسبيك العزيزة وفتاتك الحبيبة .
كوينس : لا ، لا ، ستقوم بدور بيراموس وأما أنت يا فلوت فستمثل دور ثسبي .
بوتوم : حسناً ، تابع .
كوينس : روبن ستارفلنغ الخياط .
ستارفلنغ : ها أنذا يا بيتر كوينس .
كوينس : أنت يا روبن ستارفلنغ ستمثل دور أمّ ثسبي ،
(ويكمل)
توم سنوت الحداد .

سنوت : ها أنذا يا بيتر كوينس .

كوينس : أنت ستمثل دور والد بيراموس أما أنا فسأمثل دور والد ثسبي وأنت يا سونغ النجار فستقوم بدور الأسد وهكذا آمل أن نكون قد انتهينا من توزيع الأدوار .

سونغ : هل تحتفظ بدور الأسد مكتوباً على حدة ؟ إذا كان الدور معك وهذا ما آمله فلتعطه لي لأني بطيء الحفظ .

كوينس : باستطاعتك أن تقوم به ارتجالاً فليس الدور سوى زئير أسد .

بوتوم : أعطني أيضاً دور الأسد وسأزأر حتى أجعل قلوب الرجال تستمع إلي ، سأزأر حتى أجعل الدوق يقول دعوه يزأر مرة ثانية . . دعوه يزأر مرة أخرى . .

كوينس : تريد أن تلعبه بطريقة مرعبة لتخيف الدوقة والسيدات فيرسلنا ذلك جميعاً إلى المشنقة .

الجميع : سيشنق حينئذ كل ابن امرأة منا .

بوتوم : أيها السادة إذا أفزعتم السيدات حتى الخروج عن أطوارهن فأنا أكيد أنه لن يكون هنالك خيار غير إرسالنا إلى المشنقة . . . سأستجمع صوتي وأزأر برقة

كهديل الحمام .. سأزأر بصوت العندليب .

كوينس : لن تلعب غير دور بيراموس ، لأن بيراموس ذو وجه حسن .. إنه رجل متكامل .. إنه كأكمل ما يكون الإنسان في يوم صائف ؛ فهو رجل يبعث على الحب ، شبيه بالسادة ، فيجب إذن أن تقوم بدور بيراموس .

بوتوم : سأقوم بهذا الدور إما بلحيتك التي بلون التبن وإما بلحيتك التي بلون الكرون الفرنسي أو بلحيتك الأرجوانية الخشنة .

كوينس : بعض الرؤوس الفرنسية ليس فيها شعر وحينئذ سيكون عليك أن تمثِّل الدور بدون لحية .. أيها السادة تلك هي أدواركم وإني لآمل بل أتوسل إليكم وأود منكم أن تكونوا قد حفظتموها حتى مساء الغد على أن تلقَوْني عند غابة القصر ، على بعد ميل من المدينة ، لأنه إذا أجرينا تجربتنا في المدينة فسيجتمع حولنا الناس وسيعرفون حيلنا ، وخلال هذا الوقت سوف أعد قائمة بالأشياء التي تحتاجها مسرحيتنا فأرجو ألا تخيبوا ظني .

بوتوم : سنلقاك هنالك وسنقوم بالتجربة بكل شجاعة وعربدة فلنتحمل الآلام من أجل الوصول إلى الكمال . . وداعاً .

كوينس : إذن ليكن اجتماعنا عند دوحة الدوق هذا يكفي ، ولنمسك عن الكلام أو تقطع أوتار القوس .

(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(المكان: غابة بالقرب من أثينا)

(يدخل باك وجنية من جهتين متقابلتين)

باك : والآن أيتها الروح إلى أين تحومين ؟ .

الجنية : على التل وفوق الوهاد ، داخل الأحراش وأشجار العوسج ، وفوق المتنزهات والحظائر المسيَّجة . أخوض السيول ، أقتحم النيران أسرع من القمر في مداراته ، ممتثلة لخدمة مليكة الجن ، أبلل دورانها على المرعى فما الأزاهير المتطاولة سوى حاشيتها تتدثر بملابسها المرقشة التي تشاهدها ، فهذه الملابس هي من عطاء الجنيات وفيها يكمن عطرها . والآن فلا بد لي أن أذهب لأفتش عن قطرات الندى هنا ، ولأعلق جوهرة على أذن كل زنبقة . وداعاً أيتها الأرواح الكثيبة ، إني ذاهبة الآن وستحضر مليكتنا إلى هنا عمَّا قريب وجميع أفراد حاشيتها برفقتها .

باك : سيعقد الملك مجلس سمره هنا هذه الليلة
في هذا المكان . فحذارِ أن تقع عيناه
على الملكة ، لأن « أوبيرون » غاضب
عليها لاتخاذها ـ من بين أتباعها ـ فتى
سلبته من عاهل هندي ، ولم يكن لها من
قبل فتى يمكن إبداله . أما « أوبيرون »
الغيور فيرغب في أن يضم الفتى إلى
فرسانه يجوب به الغابات الموحشة .
ولكنها تمسك الفتى المحبوب عنوة ،
تكلّله بأزهار وتجعل منه مصدر سرور
لها . وهكذا فالملك والملكة لا يجتمعان
في غابة أو بستان ولا بقرب نبع رائق أو
مكان تزينه النجوم اللامعة ، وحين يبدأ
بينهما الصراع تلجأ الحاشية ، من
الخوف ، إلى داخل ثمار البلوط .

الجنية : إما أنني أخطىء شكلك ومظهرك ، وإما
أنك ذلك الروح الشرير الماكر الذي
يسمى روبن الفتى الطيب ؟ هل أنت هو ؟
ذلك الذي يفزع فتيات القرى ويجرد اللبن
من القشدة وقد يدير الرحى وبدون فائدة
يفسد اللبن على ربة المنزل المتعبة في
العمل على الممخضة . وفي بعض
الأوقات يحول دون الخمر والتخمر ،

ويضلل مدلجي الليل ضـاحكاً من
آلامهم ، أما أولئك الذين يسمونك
« البعبع » أو الظريف باك فأنت تقوم
بأعمالهم ويكون حظهم معك حسناً .
ألست أنت هو؟ .

باك : ما تقولينه هو الصحيح فأنا جوَّاب الليل
المرح ، أمازح أوبيرون وأجعله يبتسم
حين أخدع جواداً سميناً يأكل الفول
وأصهل كما يصهل المهر الوليد ، وفي
بعض الأوقات أكمن في صحن النميمة
كالسرطان المحمر ، فإذا شربت إحدى
النساء تراقصت على شفتيها فتسكب
الجعة على حجرها . أما الخالة الحكيمة
التي تهم برواية حكاية حزينة فتخطئني في
بعض الأحيان حين تحسبني كرسياً بثلاثة
أرجل وحين أزيح عن مؤخرتها تسقط
فتتمزق ثيابها وتبدأ بالسعال . وعند ذلك
يتماسك كل أفراد الجوقة بالإجناب
ويتضاحكن ويغرقن في المرح ويسعلن
ويقسمن بأنه لم تضع عليهن ساعة مرح
هناك .

(يدخل أوبيرون وأتباعه من جهة ثم تدخل تيتانيا
وأتباعها من جهة أخرى)

أفسحوا السبيل أيها الجن ها هو أوبيرون
آتٍ .

جنية : وها هي سيدتي قادمة كذلك فهل يبتعد
عن هذا المكان ؟ .

أوبيرون : بئس اللقاء في ضوء القمر يا تيتانيا
المتكبرة .

تيتانيا : يا لك من حقود يا أوبيرون . . انصرفوا
أيها الجن فلقد حلفت على هجر فراشه
وصحبته .

أوبيرون : مهلاً أيتها المستهترة ، ألست مولاك ؟ .

تيتانيا : إذن لا بد أن أكون زوجتك ولكني أعرف
أنك انسحبت من أرض الجن في شكل
« كورين » وجلست طوال اليوم تعزف
على مزمار من الخوص وتهزج بأغاني
الحب إلى « فيلليدا » الوالهة . لماذا أنت
الآن ها هنا ؟ لماذا رجعت من أقاصي
منحدرات الهند ؟ ولكن الحقيقة التي
لا نقاش فيها هي أن عشيقتك المسترجلة
ذات الحذاء الطويل والولع بالحرب
ستقترن بتاسيوس ، وقد أتيت لتضفي
على فراشها المتعة والسعادة .

أوبيرون : ويحك يا تيتانيا ألا تشعرين بالحياء

والخجل . وأنت تلمحين إلى حظوتي
عند إيبوليتا . وأنت تعرفين أني على علم
بحبك لتاسيوس . ألم تقوديه أثناء الليل
المنير من عند « بريجينا » التي اغتصبها ؟
ألم تجعليه يحنث بعهده « لإيغل »
الجميلة ؟ وكذلك « لأريادن »
و« أنتيوبا » ؟ .

تيتانيا : هذه الأكاذيب من فعل غيرتك فأنا لم
أقابله منذ بداية منتصف الصيف سواء
على جبل أو في واد أو مرعى ، أو نافورة
مرصوفة أو نهر مسرع ،
أو حتى على شاطىء البحر ،
حيث نتراقص كالفراشات على صفير
الرياح

ولكن بشغبك قد عكّرت مرحنا
فذهب عزف الرياح لنا هباء
وكأنها أرادت انتقاماً وثأراً
فقد امتصت من البحر ضباباً مؤذياً
فلما نزل على الأرض
غدا كل نهر يتدفق في كبرياء
حتى سال فيضه على الشاطئين
لقد حاول كل ثور أن يزيد من كده دون
جدوى

فقد فقدَ الحارث عرقه
وعطن القمح الأخضر
قبل أن ينبت عذاره
لقد ظلت الحظيرة خاوية في الحقل
المغرق في
المياه ،
وسمنت الغربان بالقطعان النافقة ،
وامتلأت مآقي لعبة السيجة بالطين
وتلك الآثار غير المألوفة في الزرع المائج
لم يعد يستبينها أحد لانقطاع الأرجل .
وهكذا فلم يعد يجد الناس مؤونة الشتاء
ولا ليلة يباركها الترتيل أو التسبيح .
لذلك فإن القمر المهيمن على الفيضان ،
والغيوم الشاحبة من الغضب
ستغسل السماء
من أجل أن تتكاثر أمراض « الروماتيزم »
ومن خلال هذا التغيير
سنرى الفصول تتبدل ،
وسيتساقط الصقيع ذو الرأس الأشيب
في حجر الأزهار الحمراء اليانعة
وفوق تاجَ الشتاء القديم
ذي الزي الثلجي الرقيق
وفوق التاج الثلجي « لهايم » العجوز
شذى أكاليل براعم الصيف

وكأنها صنعت من أجل السخرية
فالربيع والصيف والخريف الولود
والشتاء الغاضب
قد بدّلت حللها المعتادة
والعالم الحائر لا يعلم كيف يميز بينها من
كثرة
عطائها
ونفس هذه السلالة من الشرور
تتولد من نقاشنا وخلافنا
فنحن مصدر الشرور وأصلها .

أوبيرون : ولماذا لا تصلحين الأمر إذن ؟ فالأمر كله بين يديك . لماذا تختلف « تيتانيا » مع حبيبها « أوبيرون » وهو لا يريد شيئاً سوى استبذال الفتى ؟ .

تيتانيا : ليسترح فؤادك فإن أرض الجن كلها لن تساوي هذا الغلام عندي ؛ فوالدته من تابعات مذهبي ، وقد كرست نفسها لخدمتي ، وفي أمسيات الهند الفائحة بالعطور كثيراً ما كانت بجانبي تجاذبني أطراف الحديث وجلست بالقرب مني فوق رمال « نبتون » الصفراء تشاهد البواخر فوق البحر . لقد كنا نضحك لمرأى الأشرعة وهي تنتفخ بفعل الرياح

الشريرة . وحين كانت رحمها حبلى بغلامي الصغير كانت تحاكي السفن بمشيتها السابحة والجميلة تحضر لي أشيائي الصغيرة وكأنها قادمة من رحلة غنية بالمتاجر ، ولكن بما أنها مخلوق فانٍ فقد ماتت وهي تلد ذلك الفتى ولأجلها فإني أرعاه . ولأجلها فإني لن أتخلى عنه .

أوبيرون : وإلى متى تريدين البقاء في هذه الغابة ؟ .

تيتانيا : ربما بقيت فيها إلى ما بعد يوم زفاف « تاسيوس » فإذا كنت ستصبر على الرقص معنا ، وستشاهد لهونا في ضوء القمر فتعال معنا . أما إذا كنت لا ترغب في ذلك فابتعد عني وسأتجنب مواقفك .

أوبيرون : أعطني ذلك الفتى وسأذهب معك .

تيتانيا : لن أتخلى عنه في مقابل مملكة الجن بأسرها . أيها الجن ، لنذهب قبل أن يتأزم الموقف بطول انتظارنا .

(تخرج تيتانيا مع أتباعها)

أوبيرون : فلتذهبي في دربك ولكنك لن تبرحي هذه الأجمة حتى أكون قد ألحقت بك العذاب نتيجة ما ألحقته بي من كلام تعال يا عزيزي باك فلعلك تذكر يوم كنت جالساً

على التل المشرف على البحر تستمع إلى
إحدى عرائس البحر وهي جالسة على
ظهر دلفين تغني بوقع لحن جميل ، حتى
رق البحر الهائج لغنائها وتساقطت بعض
الأنجم ، في جنون ، من مداراتها من
أجل أن تتسمع إلى موسيقى عروس
البحر .

باك : أذكر ذلك .

أوبيرون : في ذلك اليوم رأيت ما لم تره . شاهدت
« كيوبيد » طائراً بين القمر البارد والأرض
مرتدياً كامل أسلحته ، ومصوباً سهمه بقوة
باتجاه فتاة عذراء توَّجها الغرب وكأنه أراد
أن يخترق به مائة ألف فؤاد ولكني رأيت
سهم كيوبيد الناري يشفي غليله في
مطاردة أشعة القمر المائي ، ولقد مرت
الفتاة الملكية في دربها تسبح في تأملاتها
العذراء وقلبها خال من الحب . لقد
استطعت أن أحدد المكان الذي سقط فيه
سهم كيوبيد ؛ فقد وقع السهم على زهرة
غريبة صغيرة كانت فيما مضى بلون اللبن
الأبيض ، أما الآن فأصبحت حمراء من
جراح الحب وتسميها العذراوات « الحب
المتعطل » . أحضر لي تلك الزهرة التي

أريتك عشبها ذات مرة والتي إذا وضعت عصارتها في الجفون النائمة جعلت الرجل أو المرأة يتعشق في حنو أول مخلوق حي يشاهده . أحضر لي ذلك العشب وتعال هنا مرة أخرى قبل أن يسبح الحوت مقدار فرسخ .

باك : سأحوم حول العالم في أربعين دقيقة .

أوبيرون : وعندما أحصل على تلك العصارة أرقب تيتانيا حتى تهجع لأضع السائل على عينيها ، وسيكون أول شيء تراه حين تستيقظ إما أسداً وإما دباً وإما ذئباً وإما ثوراً وإما قرداً فضولياً أو قرداً لا ذنبياً مشغولاً فتلاحقه وقد ملأ الحب قلبها ، وقبل أن أزيل هذا السحر من عينيها وأقدر على ذلك بنوع آخر من العشب سأجعلها تسلمني الفتى ولكن من القادم ؟ سأختبيء حتى أسمع ما يقولون .

(يدخل ديمتريوس تتبعه هيلينا)

ديمتريوس : أنا لا أحبك فلا تلحقيني . أين ليساندر وهيرميا الجميلة ؟ سأذبح واحداً وستذبحين أنت الآخر أخبرتني أنهما يختبئان في هذه الغابة وها أنذا أضرب في

الغابة ، ولا أجد حبيبتي هيرميا اذهبي فلا تتبعيني .

هيلينا : أنت تجذبني يا ذا القلب الصلب القاسي ولكنك لا تجذب حديداً ، لأن قلبي صلب في وفائه ، وإخلاصه كالفولاذ . تخلّ عن قدرتك على جذبي ولن تكون لي قدرة على متابعتك .

ديمتريوس : أتودين أن أغرر بك ؟ أتودين أن أطارحك الغرام ؟ ألست أقول لك في صدق واضح : إنني لا أحبك ولن أستطيع أن أحبك .

هيلينا : وحتى لأجل ذلك فإن حبي لك يزداد أكثر فأكثر . . أنا كلبك الصغير ، وكلما ازددتَ في ضربي يا ديمتريوس إزددتُ تذللاً لك . لا تعاملني أكثر من كلب ، إمتهني ، إضربني ، إهملني ، إهجرني ، فقط أسمح لي أن أتبعك وإن كنت غير جديرة بذلك فليس هنالك ما هو أحقر مما توسلت به ، ومع ذلك فليس هنالك ما هو أكثر احتراماً بالنسبة لي من أن تعاملني كما تفعل مع كلبك .

ديمتريوس : لا تزيدي من كراهية نفسي لك ، فأنا أحسّ بالغثيان حين أنظر إليك .

هيلينا : أما أنا أحس بالتعب والإعياء حين لا أنظر إليك .

ديمتريوس : أنت تنقصين من قدر نفسك كثيراً حين تتركين المدينة وتضعين نفسك بين يدي رجل لا يحبك ، بل تنتهزين فرصة الليل وما يوسوس لك هذا المكان المهجور من أفكار مخاطرة بكنز عذريتك الثمين

هيلينا : إن فضيلتك هي صمام الأمان بالنسبة لي ولا يكون الليل ليلاً حين أرى وجهك لذلك فأنا لا أجد نفسي في الليل ، ولا أفتقر في هذه الغابة إلى عوالم الرفقة لأنك أنت عالمي . فكيف يمكن أن يقال إنني وحيدة حين يكون العالم بأسره بين يدي يرعاني ؟ .

ديمتريوس : سأفر منك وأختبيء في الأجمة وعندها ستكونين تحت رحمة الوحوش .

هيلينا : إن أكثر الوحوش ضراوة ليس في مثل قلبك الصلد أهرب متى تشاء فالقصة ستتبدل بطير « أبولون » و« دافني »

تطارده ، الحمامة تلاحق النقاء والغزال الوديع يطارد النمر ، وما نفع السرعة حين يهرب الشجاع ويلاحقه الجبان .

ديمتريوس : لن أحتمل تساؤلاتك . . أتركيني وإذا لاحقتني فلا تصدقي أني لن أفعل بك سوءاً في هذه الغابة .

(يخرج ديمتريوس)

هيلينا : حقاً أنك ، في المعبد وفي المدينة وفي الحقل ، تسيء إليّ ، بئس الرجل أنت يا ديمتريوس . إن أساءتك لي تزري ببنات جنسي ، نحن لا نقدر أن نحارب من أجل الحب كما يفعل الرجال لأننا جبلنا على أن نُخْطَب لا أن نَخْطِب . سألاحقك وسأجعل من جحيمك جنة لي ، فما ألذ الموت على يد الحبيب .

(تخرج هيلينا)

أوبيرون : صحبتك السلامة أيتها الحورية، فقبل أن يترك الأجمة ستهربين منه وسيصبح هو الباحث عن حبك .

(يدخل باك)

مرحى بك أيها الجوال . . . هل أتيت بالزهرة ؟ .

باك : نعم ها هي .

أوبيرون : أرجو أن تعطينيها . إني أعرف جرفاً ينبت فيه الزعتر البري حيث ينمو زهر الربيع والبنفسج الخافق الرأس يظلله الياسمين اليانع ويفوح منه أريج ورود المسك والعليق . في ذلك المكان تنام تيتانيا بعضاً من الليل هادئة بين تلك الأزاهير فرحة بالرقص والمرح ، وفي ذلك المكان يخلع الثعبان جلده المرقش وهو واسع بحيث يلف جنية في داخله ، ومن هذه العصارة سأضع على عينيها وأجعلها تمتلىء بنزوات الكراهية . خذ أنت شيئاً منها وابحث في داخل الأجمة عن بنت أثينية تعشق فتى لا يأبه بها وادهن العصارة على عينيه وتأكد أن أول شيء يبصره بعد وضعها هو تلك البنت وستتعرف إلى ذلك الفتى بالملابس الأثينية التي يلبسها واحرص أن تنفذ عملك في حذر حتى يبدي لها من الوداد أكثر مما تبديه له . وتذكر أن توافيني قبل صياح الديك الأول .

باك : هوّن عليك . يا سيدي ، فسوف يقوم خادمك بتنفيذ ما تطلبه .

(يخرج)

المشهد الثاني

(المكان : جانب آخر من الغابة)

(تدخل تيتانيا مع أتباعها)

تيتانيا : هيا ارقصن في حلقة وانشدن أغنية من أغاني الجن ، وفي الجزء الثالث من الدقيقة يذهب بعضكن لقتل الحشرات في براعم ورود المسك ، ويقاتل بعضكن الخفافيش من أجل الحصول على أجنحتها الجلدية حتى أعمل سترات لصغاري ، ويطرد البعض الآخر اليوم الصياح الذي ينعق بالليل ويدهش أرواحنا الشفافة . . . أنشدن لي كي أنام ثم اذهبن بعد ذلك إلى أشغالكن حتى أخلد للراحة .

(يتصاعد صوت أغنية)

جنية : أيتها الأفاعي المرقشة ذوات اللسانين .
استتري أنت والقنافذ ذات الأشواك .
وأنت أيتها السمادل والديدان العمياء
أكففن شروركن
ولا تدنين من مليكتنا . .

غن « يا فيلوميل » بصوتك الموقع
نشيد نومنا العذب
« لولا . . لولا ـ .
نشيد نومنا العذب
« لولا . . لولا . . لولا بي . . »
لا أذى
لا سحر ولا رقية
تقترب من سيدتنا الجميلة

جنية ثانية : أيتها العناكب الناسجة لا تدني من مليكتنا
ولا تقتربي أيتها الخنافس السوداء
وأنت أيتها الديدان والقواقع لا تلحقي بها
أذى .
غن « يا فيلوميل » مع الجماعة .

الجنية الأولى : والآن ابتعدوا جميعاً ، فكل شيء على ما
يرام ولتقف واحدة بعيداً من أجل
الحراسة .

(تخرج الجنيات بينما تظل تيتانيا نائمة)
(يدخل أوبيرون ويعصر الزهرة على جفنيها)

أوبيرون : والآن حين تستيقظين اتخذي من تبصرينه
حبيباً تخلصين له تعطينه الحب وتقاسين
من أجله أياً كان أمره ، فهداً أو قطاً أو دباً
أو نمراً أو خنزيراً ، أو خشن الشعر ،
سيصبح في ناظريك حين تستيقظين هو

الحبيب استيقظي حين يقترب منك
مخلوق شرير .

(يدخل ليساندر وهيرميا)

ليساندر : يا حبيبتي الجميلة ، يكاد السير في الغابة
أن يسلمك للإعياء وأصدقك أني ضللت
الدرب . سنرتاح يا هيرميا إذا رأيت أنه من
الأفضل أن نفعل ذلك . سننتظر هنا حتى
يطلع النهار .

هيرميا : ما دام الأمر كذلك فلتجهز فراشك يا
ليساندر أما أنا فسأريح رأسي على هذا
الجرف .

ليساندر : سنجعل من هذا العشب وسادة لكلينا،
قلب واحد وفراش واحد مهجتان وميثاق
واحد .

هيرميا : كلا يا ليساندر . . إذا كنت تحبني فارقد
بعيداً ولا تنم بالقرب مني .

ليساندر : ألا تؤمنين يا حبيبتي في براءتي؟ إن الحب
يتخذ معناه من التقاء الحبيبين . أعني أن
قلبي مرتبط بقلبك بحيث نستطيع أن
نجعل منهما قلباً واحداً مهجتان ربط
بينهما ميثاق فنحن فؤادان وميثاق واحد،
لأجل ذلك لا تستكثري علي أن أرقد

بقربك فأنا يا هيرميا لن أخدعك .

هيرميا : أنت يا ليساندر ماهر بالألغاز، ولكنك تنال كثيراً من كرامتي وكبريائي حين تظن أن هيرميا تقول إن ليساندر يخادعها، يا عزيزي من أجل الحب واللياقة ارقد بعيداً فالخجل الإنساني قد حكم أن مثل هذا الانفصال هو فضيلة بين العازب والفتاة، لهذا السبب ابتعد وطب مساء يا صديقي العزيز. وليدم حبك على مر الأيام ثابتاً حتى نهاية حياتك الطيبة

ليساندر : آمين . . آمين . . هذا ما أردده في ذلك الدعاء، ولتنته حياتي حين ينتهي وفائي . ها هو ذا فراشي وليمنحك الرقاد كل ما فيه من راحة .

هيرميا : ولتغمض عينا الداعي بنصف هـذه الأمنية .

(ينامان)

باك : ها قد مشيت داخل الغابة ولم أعثر فيها على أثيني أجرب على عينيه ما في هذه الوردة من قوة في إثارة الحب . الليل والسكون من هنا؟ إنه هو . . مَنْ قال سيدي عنه إنه احتقر الفتاة الأثينية وها هي الفتاة ترقد ملء جفنيها على الأرض الرطبة

والقذرة. مسكينة هذه الفتاة.. إنها لا
تجرؤ على الرقاد بالقرب من الخلّي
عديم الرحمة.

(يعصر الزهرة على أجفان ليساندر)

أيها الأحمق ها إني أصب على عينيك كل
ما في هذا السحر من قوة، فإذا أفقت من
نومك فليطرد الحب النوم من جفنيك،
استيقظ بعد انصرافي فقد حان موعد إيابي
إلى «أوبيرون».

(يخرج)

(يدخل ديمتريوس وهيلينا مسرعين)

هيلينا : توقف، فإنك تكاد تقتلني يا ديمتريوس
الحبيب.

ديمتريوس : ابعدي عني ولا تتبعيني هكذا.

هيلينا : وهل ستتركني في هذا الظلام...
أرجوك لا تفعل ذلك.

ديمتريوس : ليكن بقاؤك هنا على مسؤوليتك أما أنا
فسأذهب.

هيلينا : أوه ـــ لقد تقطّعت أنفاسي في هذه
المطاردة الغرامية وكلما زادت توسلاتي
قل شأني ما أسعد «هيرميا» في أي مكان

تستلقي فيه فهي تملك عينين جذابتين .
كيف لها هاتان العينان البراقتان ؟ ليس
لأنها تغسلهما بدموعها المالحة ، إذ لو
كان كذلك فإنَّ عيني قد غسلتا بأكثر من
دموعها . . لا . . لا . . إني دميمة
كالدب . الوحوش التي تقابلني تفر مني
فرقاً . لذلك فليس عجيباً أن يفر
ديمتريوس من وجهي وكأنني وحش
كاسر . ما أخبث مرآتي المتنكرة حين
تجعلني أقارن هيرميا وعينيها الواسعتين
بعينيّ ولكن من هنا ؟ أليساندر نائم على
الأرض ؟ أهو ميت ؟ أم نائم ؟ إني لا أرى
دماً ولا جرحاً . ليساندر إذا كنت حياً
فلتستيقظ أيها السيد الطيب .

(ينهض ليساندر)

ليساندر : وأقتحم النار لأجلك يا حبيبتي يا هيلينا ،
إن الطبيعة تبدي فنها حتى لأكاد أشاهد
قلبك من خلال صدرك الشفاف ، أين
ديمتريوس ؟ . فما أجدر أن يسحق ذلك
الاسم الشرير بحد سيفي .

هيلينا : لا تتلفظ بذلك يا ليساندر . لا تفه به أي
ضير في آن يحب فتاتك هيرميا ؟ وما
ضرّك بالله عليك ؟ إه هيرميا تحبك وعليك

أن تكون راضياً بذلك .

ليساندر : أأرضى بهيرميا ؟ لا إني نادم على الدقائق المضجرة التي أضعتها معها . كلا إني لا أحب « هيرميا » بل أحبك أنت « يا هيلينا » فمن ذا الذي لا يستبدل الحمامة بالغراب . إن إرادة الإنسان خاضعة لحكم العقل والعقل يقول إنك أفضل البنات فالأشياء النامية لا تنضج إلا في حينها . لقد كنت يافعاً لم ينضج عقلي إلا في هذه اللحظة . أما وقد عرفت الآن مكمن الحنكة البشرية فإن العقل هو سيد أرادتي ، وهو الذي يسيرني إلى عينيك حتى أرى فيهما قصص الحب مكتوبة على أغنى كتب الغرام .

هيلينا : لماذا ولدت حتى أسمع هذا الهزء اللاذع ، ومتى استحققت هذا الازدراء منك . ألا يكفيني ؟ . أيها الفتى أني لم أحظ ولن أحظى بنظرة حنان من عين ديمتريوس . ثم تأتي أنت وتسخر مني حقاً إنك تسيء إلي . . أي والله إنك تسيء إلي بمغازلتك إياي بهذا الشكل . ولكن وداعاً ، ومهما يكن من أمر فيجب أن أعترف أني ظننتك سيداً ذا أصالة

ونبل . أوه ما أقسى أن تواجه المرأة صدود رجل ، ثم يأتي آخر فيستهزىء بها .

(تخرج)

ليساندر : إنها لم تر « هيرميا » فلتبقي هاجعة حيث أنت يا « هيرميا » ولا تدني من « ليساندر » ثانية فكما أن إمتلاء المعدة بأطايب الطعام يسبب « القرف » ، وكما أن الهرطقة تلقى كثيراً من الكره من الذين تنكروا لمذاهبها كوني كذلك يا سبب تخمتي وهرطقتي كريهة لنفسي ، ولأكن أنا أكثر الناس كرهاً لك، وأنت يا كل قدراتي كرِّسي جهدك لتكريم « هيلينا » وحبها حتى أكون فارسها بجدارة .

(يخرج)

(تستيقظ هيرميا)

هيرميا : ساعدني يا ليساندر . . . ساعدني ولا توفر جهداً في إبعاد الثعبان الزاحف على صدري . إلّهي رحمة بي ما هذا الكابوس الذي رأيته ؟؟ أنظر يا ليساندر كيف ارتجف من الرعب ، لقد حسبت أن هنالك ثعباناً يأكل فؤادي بينما أنت جالس تبتسم لفعلته الشنيعة . ليساندر أين ذهبت ؟ . . ليساندر يا حبيبي أين أنت

بعيداً عن سماعي . . لا صوت ولا
كلمة. ويلي . . أين أنت؟ تكلم إذا كنت
تسمعني؟ تكلم عن الحب. . يكاد يُغشى
علي من الخوف. لا إني أرى الآن إنك
لست بقربي ولكني سأجدك حالاً أو
أصادف دونك الموت .

(تخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(الغابة تيتانيا نائمة)

(يدخل كوينس، سونغ، بوتوم، فلوت، سنوت، وستارفلنغ)

بوتوم : هل حضر الجميع ولم يتخلف منا أحد؟

كوينس : إنها لفرصة حسنة وهذا مكان رائع نلتقي فيه لنجري تجربتنا. هذه الفسحة الخضراء هي مسرحنا، وتلك الأجمة هي المكان الذي نبدل فيه ثيابنا، أما المسرحية فسنؤديها تماماً كما لو كنا نمثلها أمام الدوق .

بوتوم : بيتر كوينس

كوينس : ماذا بك يا بوتوم المحبوب؟

بوتوم : هنالك أشياء غير سارة في هذه الكوميديا عن بيراموس وثسبي، أولها أن بيراموس يستل السيف ليقتل نفسه، وذلك أمر لا تطيقه النساء، فماذا تقول في ذلك؟

سنوت : هذا الأمر يبعث على الرعب .

ستارفلنغ : أرى أن نؤجل منظر القتل حتى ننتهي .

بوتوم : لا لن ندع شيئاً فلدي طريقة نعالج بها الموقف . اكتبوا افتتاحية تقول إننا لن نرتكب أذى بسيوفنا ، وأن بيراموس لن يموت حقيقة ولزيادة الاطمئنان أخبروهم أنني لست بيراموس الحقيقي ، وإنما أنا بوتوم الحائك . فمثل هذا خليق أن يبعد الخوف عنهن .

كوينس : حسناً ، ستكون لنا هذه الافتتاحية وسنسطرها في مقاطع من ثمانية وستة .

بوتوم : لا ، زدها مقطعين حتى تكون ثمانية وثمانية .

سنوت : أفلن تخاف النساء من الأسد أيضاً .

ستارفلنغ : بالنسبة إلي فأنا أخاف ذلك حقاً .

بوتوم : أيها السادة لا بد من تدبر الأمر فيما بينكم حفظكم الله ـ فإن وجود أسد بين السيدات هو من الأمور الفظيعة ، إذ ليس هنالك بين الحيوانات المتوحشة ما يخيف أكثر من الأسد الحي ، لذلك فلا بد لنا أن ننظر في الأمر .

سنوت : إذن لتكن هنالك افتتاحية ثانية تخبر أن الأسد الموجود ليس حقيقياً .

بوتوم : لا . . بل يجب أن تذكروا اسم الممثل وتظهروا نصف وجهه من خلال رقبة الأسد وهو نفسه عليه أن يتكلم ليقول هذا : سيداتي . أو سيداتي الجميلات . إني أود أو أطلب إليكن أو أرجوكن ألا تخفن أو ترتعدن ـ وقد تكن نفسي ـ فإذا ظننتن أني أتيت إلى هنا أسداً فذلك مبعث أسف لي لأني لست أسداً بل أنا رجل كسائر الرجال . . ثم دعوه يسمي نفسه صراحة ويخبرهن أنه سونغ النجار .

كوينس : حسناً ليكن الأمر كذلك ، هنالك أيضاً أمران فيهما شيء من الصعوبة ؛ أولهما إدخال ضوء القمر في الغرفة ، ذلك أن لقاء بيراموس وثسبي كما تعلمون يتم في ضوء القمر .

سونغ : وهل سيكتمل القمر بدراً في الليلة التي سنمثل فيها ؟ .

كوينس : تقويم . . هاتوا تقويماً . . انظروا في التقويم موعد ظهور القمر . . موعد ظهور القمر .

كوينس : أجل أنه يضيء في تلك الليلة .

بوتوم : لماذا إذن لا تدعون نافذة الغرفة الكبيرة ،

حيث نمثل ، مشرعة لينفذ ضوء القمر من خلالها ؟ .

كوينس : حقاً . أو أن يدخل أحدنا وفي يده حزمة من الأشواك ومصباح ويقول إنه أتى ليصور أو يمثل ضوء القمر . . ثمة أمر آخر وهو ضرورة أن يكون هنالك جدار في الغرفة الكبيرة لأن القصة تقول إن بيراموس وثسبي كانا يتبادلان أطراف الحديث من شق في الجدار .

سنوت : لا يمكنك أن تأتي بجدار فماذا تقول يا بوتوم ؟ .

بوتوم : لا بد من رجل أو آخر يقوم بدور الجدار وليطلي هذا الرجل بالجبس والصلصال حتى يتهامس بيراموس وثسبي من خلال تلك الفتحة .

سنوت : إذا كان الأمر كذلك فلا بأس ، وليأتِ كل منكم ويجلس من أجل أن يجرّب دوره . . إبدأ يا بيراموس وعندما تنتهي من دورك أدخل وراء تلك الأجمة ، وهكذا يفعل كل منكم بحسب دوره .

(يدخل باك)

باك : ما هذه الطحالب التي تتبختر ها هنا

بالقرب من مرقد مليكة الجن ؟ سأكون من سامعيها أو من ممثليها إذا لزم الأمر .

كوينس : تكلم يا بيراموس ، وقفي يا ثسبي .

بوتوم : ثسبي إن للزهور ذات الأريج نكهة طيبة .

كوينس : الأريج . . الأريج . .

بوتوم : نكهة طيبة . . كذلك أنفاسك يا أحب الناس يا ثسبي . . ولكن أسمع صوتاً . . انتظري هنا هنيهة وسأعود إليك بعد قليل .

(يخرج)

فلوت : هل أتكلم ؟ .

كوينس : نعم ، ولكن عليك أن تعلم أنه ذهب ليرى سبب ضجة سمعها وسيرجع مرة أخرى .

فلوت : يا بيراموس المتلألىء . . يا ناصع البياض كالسوسن ، أو يا شبيه الوردة الحمراء في عوسجة مثقلة بالورود يا أنشط الشبان ويا أجملهم يا أصيلاً كالحصان الأصيل الذي لا يناله التعب سأقابلك يا بيراموس عند ضريح « نيني » .

كوينس : لماذا ضريح « نيني » يا رجل ، ولم يحن وقت هذه العبارة التي تجيب بها على كلام بيراموس ؟ أنت تقول دورك كله مرة

واحدة . بيراموس يدخل . . إن دورك بعد « لا يناله التعب » .

فلوت : أوه يا أصيلاً كالحصان الأصيل الذي لا يناله التعب .

(يدخل بوتوم عليه رأس حمار)

بوتوم : لو عدلت يا ثسبي لكنت لك وحدك .

كوينس : ما أفظع ذلك وما أعجبه نحن في مكان مسكون بالجن . لنفر أيها السادة . . النجدة . . .

(يخرج ومعه سونغ وفلوت وسنوت وستارفلنغ)

باك : سألحق بكم وسأجعلكم تدورون ، سأتبعكم داخل المستنقعات وداخل الغابة ، داخل الأجمة وداخل العوسج . سأتقمص شكل حصان في بعض الأحيان ، وكلب صيد في أحيان أخرى . سأصبح خنزيراً أو دباً بلا رأس أو ناراً ، سأصهل وسأنبح وأقبع وأزأر وأحرق ، تماماً كالحصان وكلب الصيد والخنزير والدب والنار .

(يخرج)

بوتوم : لماذا يفرون؟ ذلك ضرب من المكر يقصد به إخافتي .

(يدخل سنوت)

بوتوم : ماذا ترى ؟ إنهَ رأس حمار كرأسك أليس كذلك ؟

(يخرج سنوت)

(يدخل كوينس)

كوينس : بوركت يا بوتوم .. بوركت .. لقد تغيرت الآن .

(يخرج)

بوتوم : إني أنتبه لمكرهم .. إنهم يودون أن يصنعوا مني حماراً لإخافتي ولكن أنّى لهم ذلك .. لن أغادر هذا المكان وليفعلوا بي ما يشاؤون .. سأتحرك جيئة وذهاباً وسأغني حتى يعلموا أني لست بخائف .

(يغني)

ديك الشحرور في سواده .
ذو المنقار البرتقالي النحاسي .
والدّج ونغمته الأصيلة .
والعصفور بريشه النحيل .

(تستيقظ تيتانيا)

تيتانيا : أي ملاك أيقظني من مرقد الزهر ؟ .

بوتوم : (يغني) طائر الدج والعصفور والقبرة والوقواق الرمادي ذو الصوت الصافي الذي يستجيب للحنه كل إنسان .

ولا يستطيع أن يقاومها .
ولكن حقاً من ذا الذي يسلم عقله لهذا الطائر الأحمق ؟ .
ومن الذي يكذبه لو صاح .
(ككم) . . .

تيتانيا : أستحلفك أيها المخلوق الغاني أن تعيد الغناء فقد طربت أذني لإنشادك وفتنت عيني بهيئتك . إن فضائلك الحلوة أجبرتني على أن أقول ، منذ أول لحظة أبصرتك فيها : أقسم أنني أحبك .

بوتوم : لا بد لك أيتها العاشقة من التمهل في ما تقولين ، ولكن الحقيقة أقول : إن الحكمة والحب لا يتوافقان في هذه الأيام ، ومما يدعو للأسف أن بعض الجيران الأمناء لم يعودوا يجمعون بينهما . عذراً ، فإني ألجأ في بعض الأحيان للهزل والمزاح .

تيتانيا : بقدر ما أنت حكيم فإنك وسيم .

بوتوم : ليس لي من ذلك شيء ولو كان لدي من رجاحة العقل ما يخرجني من هذه الغابة لكان ذلك وافياً بمرادي .

تيتانيا : لا تحاول أن تخرج من هذه الغابة لأنك

ستظل فيها طوعاً أو كرهاً ، فأنا روح
ولكني لست في مرتبة غيري من الأرواح
فالصيف ما يزال مخيماً على دولتي . وأنا
أحبك ولذلك يجب أن تذهب معي وهناك
سوف أخصص جنياتٍ لخدمتك يأتينك
بالجواهر من الأعماق وينشدن لك حيث
تنام على فراش من الورود . أما أنا فسوف
أرقّق من خشونة جسدك البشري حتى
تغدو وكأنك روح لطيف من الهواء .
يا زهرة البازلاء ويا نسيج العنكبوت ويا
فراشة ويا حبة الخردل .

(يدخل أربعة من الجن)

زهرة البازلاء : لبيك .
نسيج العنكبوت : وأنا بأمرك .
الفراشة : وأنا .
حبة الخردل : وأنا .
جميعهن : إلى أين نذهب ؟ .

تيتانيا : ترفقن بإحسان معاملة هذا السيد . إقفزن
له حين يسير وارقصن أمام عينيه . أطعمنه
من المشمش والتوت ، واسرقن له أكياس
العسل من النحل ، واقطعن شموع ليلة
من سيقانهن الشمعية ، ثم اشعلنها من
وهج أعين اليراعات النارية ورافقن حبيبي

إلى مخدعه ، وحين يستيقظ انزعن أجنحة
الفراشات المرقشة وروحن له لإبعاد أشعة
القمر عن عينيه الناعستين . أحنين
رؤوسكن يا صغيراتي له وأكرمنه . .

زهرة البازلاء : أهلاً بك أيها الأنسي .

نسيج العنكبوت : مرحباً

الفراشة : مرحباً .

بوتوم : أصيح بجلالتك رحمة بي . . إني أود
معرفة اسمك .

نسيج العنكبوت : نسيج العنكبوت .

بوتوم : سأطلب منك مزيداً من العلم أيها السيد
نسيج العنكبوت وإذا قطعت أصبعي
فسوف ألتجىء إليك . وما اسمك أيها
السيد النبيل ؟ .

زهرة البازلاء : زهرة البازلاء .

بوتوم : أتوسل إليك أن تحمل تحياتي إلى نبتة
البازلاء والدتك وإلى قرن البازلاء والدك
أيها السيد زهرة البازلاء فأنا أتطلع إلى
مزيد من التعرف بك أيضاً . وما اسمك
أنت أيها السيد ؟ .

حبة الخردل : حبة الخردل .

بوتوم : أيها السيد حبة الخردل إني أعلم عنك

الصبر كما أعلم أن ذلك الثور الرعديد الضخم الجثة قد التهم كثيراً من أفراد عائلتك ويحق لي أن أعترف أن أفراد عائلته كثيراً ما جلبوا الدموع إلى عيني ، وأنا أتطلع إلى مزيد من المعرفة بك يا حبة الخردل .

تيتانيا : هيا كونوا في خدمته وسيروا به إلى عرشي ، فالقمر في ما أرى يبصر بعينين دامعتين ، وعندما يبكي تنشج كل زهرة حزناً على عفافها المفروض عليها . إلجموا لسان حبيبي واحضروه في هدوء .

(يخرجون)

المشهد الثاني

(المكان : جزء آخر من الغابة)

(يدخل أوبيرون)

أوبيرون : لا أعلم هل استيقظت تيتانيا ومن ذا الذي وقعت عينها عليه لحظة استيقاظها حتى تتعشقه بأقصى درجات العشق ؟

(يدخل باك)

ها هو موفدي قد عاد . . أخبرني أيها الروح المجنون أي أمر دبر بليل في هذا الدغل المسكون ؟

باك : لقد وقعت سيدتي في حب وحش من الوحوش ، فبالقرب من بيتها المقدس ، وعندما كانت غارقة في السبات ، كان جماعة من الرقعاء أو العمال الخشنين من الذين يكسبون عيشهم في دكاكين أثينا يجتمعون للتمرين على مسرحية ينوون القيام بها في يوم زفاف تاسيوس الكبير . وكان أضحل هذه الرجرجة ذلك الذي يقوم بدور بيراموس ولما انتهى من تمثيله دخل إلى الأجمة فانتهزت هذه الفرصة

وألبسته رأس حمار وكان من المفروض أن
يجيب على نداء حبيبته « ثسبي » فإذا
بلعبتي تدخل . فلما شاهدوه تفرقوا كالبط
حين يشاهد الصياد الزاحف أو كالعربان
ذات الرؤوس السمراء المتعددة الأصناف
ناعقة لدى سماعها صوت الرصاص ، ثم
تتفرق خائفة في جو السماء هكذا هرب
زملاؤه عند رؤيته . لقد أخذوا يقعون هنا
وهناك لدى سماعهم وقع أقدامنا ،
ويصيحون جريمة ، ثم يطلبون النجدة من
أثينا . لقد ضاعت عقولهم الضعيفة في
خضم هلعهم القوي وبعد ذلك بدأت
الجمادات تلاحقهم بالأذى فأخذت
الأشواك تنهش ثيابهم بعضها يمسك
بأكمامهم وبعضها يمسك بقبعاتهم
وبعضها يمسك ما ينال من أبدان أولئك
المستسلمين.. هكذا هرب زملاؤه عند
رؤيته ، في الوقت الذي تركت فيه
« بيراموس » ممسوخاً في مكانه ، وعندما
مرت تلك اللحظة استيقظت « تيتانيا »
وعلى الفور أحبت الحمار .

أوبيرون : هذا أروع مما توقعت ولكن هل وضعت
على عيني الأثيني بعضاً من عصير الحب
كما أمرتك ؟ .

باك : لقد انتهزت فرصة رقاده ونفّذت ذلك أيضاً ، أما الفتاة الأثينية فقد كانت هاجعة إلى جواره بحيث لا مفر من أن يراها حين يستيقظ .

(تدخل هيرميا وديمتريوس)

أوبيرون : قف بجانبي هذا هو الأثيني قد جاء .

باك : هذه هي الفتاة ولكن ليس ذلك هو الرجل .

ديمتريوس : لماذا تزجرين من يحبك بهذا الشكل ؟ . لماذا لا تدخرين هذا النفس الحاد لأشد الناس عداوة لك ؟ .

هيرميا : ليس لدي ما أوجهه لك الآن سوى اللوم ، وكان المفروض أن أعاملك بأقسى من ذلك فأنت قد أعطيتني مبررات لعنتك . فإذا كنت قتلت « ليساندر » أثناء رقاده وغاصت قدماك في دمائه فعليك أن تفعل أكثر من ذلك وتقتلني أنا أيضاً فلم تكن الشمس وفية للنهار كما كان « ليساندر » وفياً لي فهل تسلل فاراً من هيرميا النائمة ؟ . إنني أصدق انشقاق الأرض وانسلال القمر إلى داخلها ليغضب أخاه الظهر في الجهة المقابلة من الكرة

الأرضية ولا أصدق أن يفعل « ليساندر » ذلك .. إذن الأمر لا يخرج عن كونك قتلته وهكذا يبدو القاتل عابس الإحساس رهيباً .

ديمتريوس : بل هكذا يبدو القتيل ، وهكذا يجب أن أبدو فأنت قد طعنتني في الفؤاد بقسوتك ، وبرغم أنك القاتلة فأنت تبدين مشرقة وهادئة كالزهرة التي تسبح في فلكها المنير .

هيرميا : ماذا فعلت لحبيبي ليساندر ؟ أين هو ؟ ألا تعيده لي يا ديمتريوس الطيب ؟ .

ديمتريوس : بل الأفضل أن أرمي جثته لكلابي .

هيرميا : أغرب أيها الكلب ، اذهب أيها اللئيم ، إن ذلك يذهب بي إلى حدود لا أحتملها وذلك ما لا طاقة لفتاة به . هل قتلته إذن ؟ لن تكون رجلاً إذا لم تخبرني بالحقيقة ولو لمرة واحدة .. أخبرني بالحقيقة ولو لأجلي . هل كنت تجرؤ على النظر في وجهه حين كان حياً ؟ وهل قتلته وهو نائم ؟ يا لذلك من عمل شجاع . ألا تستطيع دودة أو أفعى أن تفعل مثل ما فعلت ؟ ولكنك أنت الذي قتلته ؛ لأن

الأفعى التي تملك ضعفي لسانك لا تستطيع أن تفعل ما فعلت .

ديمتريوس : أنت تخطئين إذ تصبين علي جام غضبك في جنون ، فأنا لست مذنباً بدم « ليساندر » ولا أظن أنه مات ، وذلك ما أستطيع أن أقوله لك .

هيرميا : أتوسل إليك إذن أن تقول لي أنه لم يمت .

ديمتريوس : وماذا سأنال بمقابل ذلك ؟ .

هيرميا : فضيلة ألاَّ تشاهدني مرة أخرى فسأفترق عن رؤيتك الكريهة فلن تبصرني بعد الآن سواء مات أو لم يمت .

(تخرج)

ديمتريوس : لن ألحقها وهي في مثل هذه الثورة من الغضب سأنتظر هنا بعض الوقت . وهكذا يعظم دين الأحزان إلى النوم المفقود .

(يرقد وينام)

أوبيرون : ماذا فعلت ؟ لقد أخطأت تماماً ووضعت عصارة الحب على عيني محب مخلص ولا بد أن إهمالك سيؤدي إلى أن يتحول حب صادق إلى كاذب وليس حباً كاذباً إلى صادق .

باك : إذن فقد تغلب القدر وقضى بأن يتمسك
رجل واحد بقسمه بينما الملايين يحنثون
بعهد بعد عهد .

أوبيرون : طف حول الغابة بأسرع من الريح ،
محاولاً أن تعثر على « هيلينا » الأثينية .
إنها فتاة أتعبها الحب وحول بهجتها إلى
شحوب ؛ فهي تتحسر على حبها الذي
يكلفها كثيراً من الدماء الزكية ، حاول
بشيء من المكر أن تأتي بها إلى هذا
المكان أما أنا فسأخدع عينيه لأجل أن
يصادفها .

باك : سأذهب سأذهب ، أنظر كيف يكون ذلك
أسرع من سهم أطلق من قوس تتارية .

أوبيرون : (يعصر من الزهرة على عيني ديمتريوس)
يا زهرة هذه العصارة الحمراء اضربي
بسهم كيوبيد وغوصي في حدقتي عينيه
فإذا أبصر حبيبته دعيها تتألق كما تتألق
الزهرة في السماء فإذا استيقظ وهي بقربه
فليطلب عندها الشفاء .

(يدخل باك)

باك : يا قائد جماعة الجن ها هي هيلينا قد
جاءت ، أما الشاب الذي أخطأته فهو
يطالب بثمن حبه ، فهل سنشاهد مهرجان

حبهما يا مولاي ، ما أسخف هؤلاء الآدميين .

أوبيرون : تنح جانباً فإن الضوضاء التي يثيرانها ستوقظ ديمتريوس .

باك : إذن اثنان سيتنافسان على حب واحدة . إن أكثر ما يسعدني يا مولاي تلك الأمور التي تخرج عن المألوف .

(تدخل هيلينا وليساندر)

ليساندر : لماذا تظنين أني أبثك الهوى وأنا أضمر لك الاحتقار والسخرية . إن السخرية والاحتقار لا يتحولان إلى بكاء . أنظري حين أقسم فإنني أبكي ، والقسم الذي ينبع من البكاء يحمل كل معاني الصدق فكيف تكون الأشياء الصادرة عني امتهاناً لك مع أنها تدل على صدق حبي لك .

هيلينا : أراك تكثر من دهائك شيئاً فشيئاً ، يا له من عراك شيطاني مقدّس حين يُقتل الصدق بالصدق . لقد قطعت هذه العهود «لهيرميا» من قبل فهل ترغب في أن تتخلى عن صدقك لها ؟ . زن عهداً بعهد ولن تجد ما تزنه . فإذا وازنت بين عهودك لها وعهودك لي تعادلت العهود وستكون الكفتان في مثل خفة الأقاصيص .

ليساندر : لم أكن أملك نفسي ساعة عاهدتها .

هيلينا : ولا تملكها أيضاً برأبي حين تتخلى عنها .

ليساندر : إن ديمتريوس يحبها ولا يحبك أنت .

(يستيقظ ديمتريوس)

ديمتريوس : يا هيلينا أيتها الغادة الكاملة المقدسة بأي شيء يمكنني يا حبيبتي أن أشبه عينيك؟ فالبللور طيني بالنسبة لهما وما أينع شفتيك شبيهتي الكرز المغريتين باللثم . أما ذلك البياض المكتنز فكأنه الثلج على قمم جبال طوروس وقد هبت عليه رياح الشرق فاستحال إلى لون الغراب إذا رفعت يدك فدعيني ألثم أميرة البياض الخالص ، فإن ذلك منتهى السعادة .

هيلينا : يا للحقد . يا للجحيم . أراكم جميعاً وقد اتفقتم على اللعب بي ولكن إذا كنتم متحضرين وتعرفون الكياسة ما جرؤتم على إيذائي . ألم تستطيعوا كراهيتي كما أعلم ذلك عنكم . حتى اتحدتما من أجل السخرية بي فلو كنتما رجلين كما هي هيأتكما الخارجية لما عاملتما سيدة مثلي هذه المعاملة القاسية . إنكما تعاهدان وتحلفان وتمدحان خصالي في حين أعلم علم اليقين أنكما تكرهاني من قلبيكما

إنكما عدوّان تحبان « هيرميا » . والآن ها هما العدوان يسخران من هيلينا إلا أنها سخرية مدبرة ومغامرة شهمة لاستدرار الدموع من عيني فتاة بائسة . إن سخريتكما تفتقر إلى الشرف لأنها تسيء إلى عذراء وتستنفذ صبرها من أجل لهوكما .

ليساندر : أنت غير رحيم يا ديمتريوس ، فلا تكن كذلك فأنت تحب « هيرميا » وتعلم معرفتي بذلك ، أما الآن وبكل نية طيبة ومن كل قلبي وبحق حب « هيرميا » فإني أعطيك نصيبي من حبها وما عليك إلا أن تعطيني نصيبك من « هيلينا » التي أحبها وسأبقى أحبها حتى الموت .

هيلينا : لا تحاولا أيها الساخران إضاعة الوقت في مزيد من الثرثرة .

ديمتريوس : احتفظ « يا ليساندر » بهيرميا لك فإني لست بحاجة إليها وإذا كنت قد عشقتها فيما مضى فإن ذلك الحب قد أدبر وولى كان قلبي مقيماً عندها كالضيف الغريب ولقد عاد إلى كنّه الذي سيسكن فيه ، عاد إلى هيلينا .

ليساندر : الأمر مع هيلينا ليس كذلك .

ديمتريوس : لا تحقر ذلك الاخلاص الذي لا تعرفه وإلا أجبرك ذلك دفع ثمن غال . أنظر ها هي حبيبتك قادمة . . تلك هي الفتاة التي تحبها .

(تدخل هيرميا)

هيرميا : يا له من ليل دامس ذلك الذي يسلب العين نورها ويجعل الأذن أكثر حساسية مما كانت عليه، فبينما يضعف هذا الليل حاسة البصر فإنه يمنح السمع ضعف قوته، وإذا كنت لم أعثر عليك يا ليساندر بعيني فإن أذني ـ فيما أعتقد ـ قد ساقتني إلى صوتك ولكن لماذا هجرتني بقسوة هكذا .

ليساندر : ولم ينتظر من يلح عليه الحب في الذهاب ؟ .

هيرميا : أي وداد ذلك الذي يبعد ليساندر من قربي .

ليساندر : حب ليساندر لهيلينا الحلوة هو الذي يبعده عنك ، فمن الذي ينير الليل أكثر من تلك الكرات النارية والنيران فلماذا تبحثين عني ؟ ألا يجعلك ذلك تدركين كل شيء ؟ إن الكره الذي أكنه لك هو الذي جعلني أهجرك .

هيرميا : إنك لا تتكلم بما تعتقد . فلا يمكن أن يكون الأمر كذلك .

هيلينا : أنظر إنها لشريكة في هذه المؤامرة . ها إنني أرى ثلاثتهم قد اتفقوا للقيام بهذا العبث في حقي . يا هيرميا الشريرة أيتها الجاحدة للجميل . هل تآمرت مع هؤلاء للتحرش بي بهذا الاستهزاء المخزي ؟ هل نسيت النصائح التي تبادلناها ؟ وعهود المؤاخاة بيننا والساعات التي أمضيناها ؟ عندما كنا نلوم الوقت المسرع للتفريق بيننا . أوه هل نسيت كل ذلك ؟ هل نسيت أيام الدراسة والصداقة والطفولة البريئة ؟ نحن يا هيرميا كإلّهين صناعيين ، خطنا بإبرتينا زهرة واحدة . كنا نجلس على وسادة واحدة ونعمل في نموذج واحد نغني لحناً واحداً وعلى نفس السلم الموسيقي وكأنما قد اتحدت أيادينا وجنوبنا وصوتانا وعقلانا ، هكذا تربينا وترعرعنا معاً ، ألم تجعلي ليساندر يلاحقني احتقاراً متغزلاً في عيني ووجهي ؟ وهما في حقيقتهما اتحاد في انفصال ثمرتان حلوتان على فنن واحد . إن لنا في عالم الحس جسدان غير أن لنا

فؤاداً واحداً كبزتي الفارس يعلوها تاج
واحد فهل تقطعين حبال ودنا القديم
لتشتركي مع هؤلاء الرجال في امتهان
صديقتك التعسة ؟ ليس ذلك من شيم
الصداقة أو من أخلاق النساء . إن الجنس
الذي تنتمين إليه يلومك كما ألومك أنا ،
ولكني وحـدي التي تشعر بالأذى .

هيرميا : إني لأعجب لكلماتك المفعمة بالانفعال
فأنا لا أهينك ولكن يبدو أنك أنت التي
تهينيني .

هيلينا : ألم تجعلي ليساندر يلاحقني احتقاراً
متغزلاً في عيني ووجهي ؟ ألم تجعلي
حبيبك الآخر ديمتريوس ، والذي كان قبل
قليل يرفسني بقدمه ، يدعوني بالمعبودة
والحورية والمقدسة والنادرة والغاليـة
والسماوية ؟ لماذا يتكلم هكذا لمن
يبغضها ؟ ولماذا يتنكر ليساندر لودادك
المغروس في أعماقه بالتلطف لي وبثي
حبه ؟ أليس ذلك بتدبيرك وموافقتك ؟
لماذا وأنا لا أحظى بمثل جمالك ؟ ولا
يتعلق بي المحبون ؟ بل إني تعيسة وبائسة
لأني أحب من لا يحبني . لأجل ذلك كان
عليك أن تشفقي عليّ بدل أن تهزئي بي .

هيرميا : إني لا أفهم ما تعنين بذلك .

هيلينا : أجل أيتها المكابرة ، حاولي تصنع النظرات الحزينة ، ثم تناوليني بلسانك حين أدير لك ظهري لتتغامزوا مع بعضكم البعض ، وتستمروا في مزاحكم الحلو . فهذا العبث سوف يسجل لكم فإذا كان عندكم رأفة أو أخلاق أو كياسة لما جعلتم مني مادة للهوكم . ولكن وداعاً فأنا مسؤولة عن جزء من الخطأ الذي سيعالجه قريباً إما الموت وإما الفراق .

ليساندر : قفي يا هيلينا العزيزة وانصتي إلى عذري يا حبيبتي يا حياتي يا حلوتي هيلينا .

هيلينا : ما أجمل ذلك ! .

هيرميا : يا حبيبي لا تسخر منها هكذا .

ديمتريوس : إذا لم يكن باستطاعتها الأمل فأنا قادر على إجبارها .

ليساندر : ليس في مقدورك أن تجبر أحداً كما ليس باستطاعتها أن تأمل فليس لتهديداتك أية قوة تأثير أكثر من توسلاتها الواهية يا هيلينا إنني أحبك ، أقسم بحياتي إنني أحبك . ها إني أقسم بالحياة التي سأبذلها فداء لك من أجل أن أبرهن على كذب من يدعي إنني لا أحبك .

ديمتريوس : وأنا أقول إنَّ حبي لك أكثر من حبه لك .

ليساندر : إذا كنت مصراً على ذلك فلتجرد سيفك لإثبات ما تقول .

ديمتريوس : هيّا إلي .

هيرميا : لماذا تفعل ذلك يا ليساندر ؟ .

ليساندر : إبعدي عني أيتها الحبشية .

ديمتريوس : لا . . لا . . يا سيدي . يبدو أنك تريد الفكاك . . أقدم على ذلك . . ولكن لا ترجع فأنت رجل ضعيف ، اذهب .

ليساندر : إبعدي عني أيتها الهرة ، أيتها الشوكة ، أيتها الشيء الشرير الذي أطلق سراحه وإلا نفضتك عني كما تنفض الأفعى .

هيرميا : لماذا أصبحت جلفاً هكذا ؟ ما الذي بدّلك يا حبيبي ؟ .

ليساندر : حبيبك أيتها التتارية السمراء . . أغربي . . أغربي أيتها الدواء الكريه ـ أيتها الجرعة المقيتة ـ أغربي عن وجهي .

هيرميا : ألا تمزح ؟ .

هيلينا : أجل . إنه يمزح وأنت تمزحين كذلك .

ليساندر : ديمتريوس إني أفي بكلمتي إليك .

ديمتريوس : ليتني أفكّ عنك هذا الوثاق ، فأنا أرى

وثاقاً واهناً يحيط بك وأنا لا أثق بكلمتك .

ليساندر : ماذا تعني ؟ هل أؤذيها ؟ أضربها ؟ أميتها ؟ حقاً إنني أبغضها ولكنني لن أؤذيها .

هيرميا : أي أذى يمكن أن تلحقه بي أكثر من البغض ؟ تكرهني لماذا ؟ أوه يا له من نبأ يا حبيبي . ألست أنا هيرميا ؟ ألست أنت ليساندر ؟ إنني جميلة الآن كما كنت قبلاً . منذ ليلة واحدة كنت تحبني ومنذ ليلة واحدة أيضاً تركتني ! لماذا إذن تركتني ؟ إنني أقول ذلك حقاً وأطلب من الآلهة ألاّ يكون حقيقة .

ليساندر : أقسم بحياتي إنه الحقيقة ، ولا أرغب في رؤيتك مرة أخرى . لذلك فلتقطعي الأمل ، إذا كنت تتساءلين وتشكين في صحة ذلك إذ لا شيء أصدق مما قلته لك ، فليس مزاحاً إنني أبغضك وأحب هيلينا .

هيرميا : ويلي منك أيتها المخادعة ، أيتها الآفة يا سالبة الحب . ماذا ؟ هل جئت بالليل وسلبت قلب حبيبي منه ؟ .

هيلينا : ما أجمل ذلك ! ألم يعد لديك حياء أو خجل يا فتاة ، أليست لديك ذرة من الخجل هل تريدين أن تنتزعي ردوداً غاضبة من لساني العفيف . تباً لك أيتها اللعبة المبهرجة .

هيرميا : لعبة ؟ لماذا ؟ حقاً هكذا تمشي الدمية . الآن أستطيع أن أرى أنها عقدت مقارنة بين قدّينا لقد توسلت بطول قامتها وبهيئتها الطويلة . إن طولها هو الذي جعله يقتنع بها . وهل سموت في نظره لأنني رقيقة الجسم وقصيرة ؟ ولكن ما مدى قصري أيتها السارية الملونة . قولي ؟ ما مدى قصري ؟ ولكن مهما يكن من أمر فإنني لست قصيرة بحيث لا أستطيع أن أنشب أظافري إلى عينيك .

هيلينا : على الرغم من أنكما تسخران مني فأرجو منكما أن تحولا دون إضرارها بي ، فأنا لم أعتد السباب وليست لدي موهبة المشاحنة . وإني لفتاة حقة بفضيلة جبني ، لا تدعوها تؤذيني فلربما ظننتما أننا متوافقتان لأنها أقصر مني .

هيرميا : أقصر منك ؟ هل سمعتما مرة أخرى ؟ .

هيلينا : يا عزيزتي هيرميا لا تحتدي معي فلطالما

أحببتك يا هيرميا . ألم أبقَ كاتمة
لأسرارك ؟ هل فعلت شيئاً يؤذيك قبلاً
سوى أنني أخبرت ديمتريوس بخبر فرارك
إلى الغابة وكان ذلك بسبب حبي له ؟ لقد
لحق بك مدفوعاً بحبه وقد فعلت أنا
الشيء نفسه . غير أنه انتقدني وأخذ
يهددني بالضرب والرفس والقتل أيضاً .
والآن دعيني أغادر إلى أثينا بسلام أحمل
معي أوزار طيشي . دعيني أذهب ولن
ألحق بك مرة أخرى هل ترين كم أحبك
وكم أنا بسيطة .

هيرميا : ولم لا تذهبين ؟ من الذي يحول بينك
وبين الذهاب ؟ .

هيلينا : إنه قلب أحمق سأدعه خلفي هنا .

هيرميا : مع ليساندر ؟ أليس كذلك ؟ .

هيلينا : لا مع ديمتريوس .

ليساندر : لا تخافي يا هيلينا فهي لن تؤذيك .

ديمتريوس : نعم لن تؤذيها ولو كنت أنت بقربها .

هيلينا : عندما تكون غاضبة تصبح حادة وقاسية ،
لقد كانت تلميذة مشاغبة أيام الدراسة ،
كانت متوحشة على الرغم من ضآلتها .

هيرميا : ها هي تقول ضيئلة مرة أخرى . . ليس
لديك ما تفوهين به سوى أن تنعتيني ضيئلة

لماذا تدعانها تزدريني هكذا ؟ أتركوني أحمل عليها .

ليساندر : اذهبي أيتها القزمة ، أيتها الضئيلة ، يا خرقة الحشائش المعوقة ، يا خرزة ، يا جوزةِ البلوط .

ديمتريوس : أنك تقحم نفسك كثيراً للدفاع عمن تسخر من خدماتك ، دعها وشأنها . لا تدافع عن هيلينا أو تقف إلى جانبها وإذا أردت ذلك فلا تبدي من الحب ولو قليلاً لأنك ستحظى القصاص على ذلك .

ليساندر : هي لا تمسك بي الآن وإذا كنت تود معرفة أينا أحق بهيلينا فلتتبعني .

ديمتريوس أأتبعك ؟ لا سأمشي إلى جانبك كالوجنة بقرب الفك .

(يخرج ليساندر وديمتريوس)

هيرميا : والآن أيتها المعشوقة فلقد طالت هذه الضوضاء بسببك فلتظلي هنا ولا ترجعي إلى أثينا .

هيلينا : لم أعد أثق بك ، ولن أقوى طويلاً على تحمل أذاك فإن يديك أسرع من يدي في القتال إلا أن ساقي أطول من ساقيك وأكثر قدرة على الهروب .

(تخرج)

هيرميا : إني أحس بدهشة ولا أعرف ماذا أقول ؟ !

(تخرج).

أوبيرون : هذه هي حصيلة إهمالك ، هكذا أنت إما أن تخطيء دائماً وإما أن ترتكب حماقاتك عامداً .

باك : صدقني يا ملك الظلال لقد أخطأت ألم تشر علي بأن أتعرف إلى الرجل من ثوبه الأثيني ؟ حتى هنا فلا لوم علي لأني وضعت العصارة في عيني أثيني وإني لأحس بالسرور لما فعلت ذلك أني أجد تسلية في خصومتهم .

أوبيرون : ها أنت ترى العاشقين يفتشان عن مكان يتعاركان فيه هيا يا روبن زد الليل ظلاماً وغط من فورك السماء الحافلة بالنجوم بالضباب الأسود « كأكيرون » نهر الجحيم ، ثم ضلل هذين المتنافسين التعيسين حتى لا يدنو أحدهما من درب الآخر ، قلد بلسانك صوت ليساندر وأثر ديمتريوس كي يحس بالظلم المؤلم واحتد أحياناً كما يحتد ديمتريوس حتى يتسلل النوم الشبيه بالموت إلى أجفانهما ويزحف إليهما برجلين كرقائق الرصاص وبجناحي الوطواط ، عند ذلك أعصر من هذا

العشب على عيني ليساندر فإن السائل
يمتلك تلك الخاصية النافذة التي تمحو
جميع الأخطاء وهكذا تتحرك عيناه بالنظر
المعتاد وساعة استيقاظه سيرى هذه
المهزلة وكأنها أضغاث أحلام لا رجاء من
ورائها . وهكذا ينقلب المحبون إلى أثينا
مرة أخرى بعرى لا تنفصم حتى الممات
وخلال إتمامك لهذا العمل ، سأذهب إلى
مليكتي أتوسل إليها أن تمنحني الفتى
الهندي وبعد ذلك سأخلص عينيها
المسحورة من عشق الوحش وسيرجع كل
شيء إلى سلام .

باك : يا مليك الجن . لا بد أن تسرع في هذا
الشأن لأن مردة الليل سرعان ما تشق
السحب .

فإذا انبلج الفجر نذير الأصباح .
أسرعت الأشباح التائهة في كل مكان
إلى مدافن الكنائس .
وأما الأرواح الملعونة التي دفنت في
مفارق الدروب

أو في مياه الفيضان ، فستكون قد لجأت
إلى فراشها الدودية مخافة أن يطلع

النهار على خزيها .
فهي تنفي نفسها راغبة عن ضوء الصباح
لتأتلف مع سواد الليل الدامس . . .

أوبيرون : ولكننا أرواح من صنف آخر فكثيراً ما
اتخذت من عشيقة الصباح ملهى لي وقد
أسير على الحرج كالحطاب حتى حين
يصبح الباب الشرقي أحمر كالنار ويتفتح
« نبتون » بأشعته الجميلة المباركة فيحيل
مياهه الخضراء المالحة إلى لون الذهب
الأصفر لكن برغم ذلك أسرع ولا تتأخر
فقد ننجز هذا العمل قبل طلوع النهار .

(يخرج)

باك : صعوداً ونزولاً صعوداً ونزولاً . . .
سأقودهم صعوداً ونزولاً فأنا الذي تخافني
الحقول والمدائن أيها الجني قدهم
صعوداً ونزولاً ها هو واحد منهم آتٍ .

(يدخل ليساندر)

ليساندر : أين أنت يا ديمتريوس المغرور . . . تكلم
الآن .

باك : هنا أيها الأرعن أجرد سيفي في إنتظارك
أين أنت ؟ .

ليساندر : سأتوجه إليك حالاً .

باك : إتبعني إذن إلى أرض فسيحة .

(يخرج ليساندر)

(يدخل ديمتريوس)

ديمتريوس : تكلم مرة أخرى يا ليساندر ها أنت تعدو أيها الجبان هل تهرب تفتش عن العراك ؟ تكلم في أية أجمة تخبىء رأسك ؟ .

باك : أيهَا الرعديد هل تتباهى للنجوم ؟ هل تخبر الأشجار أنك تفتش عن العراك ثم لا تأتي إليه ؟ تعال أيها الرعديد تعال أيها الطفل سأجلدك بالعصا لأن الذي يجرد عليك السيف سوف يصير . . .

ديمتريوس : أجل ، ها أنت هنا . إتبع صوتي فلن نتعارك هنا .

(يخرجان)

(يدخل ليساندر)

ليساندر : إنه يسير أمامي ويتحداني . وحين أصل إلى مصدر الصوت لا أجد أحداً . إن هذا السافل أسرع خطواً مني إنني أتبعه بسرعة ولكنه يختفي بأسرع مما أطلبه إلى أن أصبحت هكذا في طريق مظلمة غير مرصوفة .

(يرقد . .ـ بينما يتابع قائلاً :)

تعال إذن أيها الصباح الهادىء فإذا ما
أريتني نورك الشاحب وجدت ديمتريوس
وسأثأر من إهانته لي .

(ينام)

باك : هو هو هو . . لماذا لا تأتي أيها الرعديد .

ديمتريوس : انتظرني إذا كنت تجرؤ على ذلك فأنا أرى
أنك تفر من أمامي تلتجيء إلى كل مكان
ولا تستطيع أن تقف لمواجهتي . أين أنت
الآن ؟ .

باك : تعال إلي ، فأنا هنا .

ديمتريوس : ها أنت تهزأ بي ولكنك ستدفع ثمن ذلك
غالياً . إذا ما شاهدت وجهك في الصباح
والآن فلتذهب لأن النعاس يتملكني .
فلأمدد نفسي على هذا المرقد البارد ،
وعند الصباح توقع زيارتي لك .

(يرقد وينام)

(تدخل هيلينا)

هيلينا : أيها الليل المتعب الطويل المضجر
فلتقصر من ساعاتك ولتشرقي أيتها
الراحات من الشرق حتى أرجع إلى أثينا
في ضوء الصباح . وأبعد عني هؤلاء

الذين يكرهون صحبتي التعيسة فعسى أن يأخذني النوم الذي يغلق عين الأحزان ولو لبرهة من هؤلاء .

(ترقد وتنام)

باك : إنهم ثلاثة فلتأت رابعتهم . اثنان من كل جنس يكونون أربعة ها هي تأتي مبتئسة وحزينة يا لكيوبيد من ولد غر يطير بعقل البائسات .

(تدخل هيرميا)

هيرميا : لم أشعر بمثل هذا الضنك أو بمثل هذا البؤس من قبل لقد بللني الندى ومزقتني الأشواك ، حتى لم أعد أستطيع الزحف أو السير فلن تطاوع ساقاي رغباتي . سأستريح هنا حتى ينبلج الصباح ولتحم السماء ليساندر إذا اعتزما على القتال .

(ترقد وتنام)

باك : أرقد على الأرض ملء أجفانك فسوف أضع على جفنك أيها المحب المخلص الدواء .

(يعصر العشب على جفني ليساندر)

عندما تفيق سوف تنعم بالسعادة . سوف

تنعم بمشاهدة عين حبيبتك السابقة وكما يقول المثل : لا بد أن يأخذ كل رجل نصيبه ، وذلك ما سيحدث حين تستيقظ وسيأخذ « جاك » منجله ، وسيحصد من لا يستحق المرض وسيأخذ كل رجل فرسه ، وستعود الأمور إلى نصابها .

الفصل الرابع :

المشهد الأول

(المكان: الغابة. ليساندر، ديمتريوس، هيلينا، وهيرميا: نائمون)

(تدخل تيتانيا ومعها بوتوم وزهرة البازلاء ونسيج العنكبوت والفراشة وحبة الخردل ويتبعهم بعض الجن)

(أوبيرون من الخلف لا يُرى)

تيتانيا : تعال واجلس على هذا الفراش الوردي بينما ألاعب وجنتيك الحبيبتين وأرشق زهر المسك على رأسك الناعم الأملس وألثم أذنيك العريضتين الجميلتين يا بهجة نفسي .

بوتوم : أين زهرة البازلاء ؟ .

زهرة البازلاء : ها هنا .

بوتوم : حك رأسي ، يا زهرة البازلاء أين السيد نسيج العنكبوت ؟ .

نسيج العنكبوت : ها أنا هنا .

بوتوم : أيها السيد نسيج العنكبوت ، أيها السيد الطيب ، أحمل سلاحك بيدك واقتل لي نحلة صغيرة ذات مؤخرة حمراء في أعلى

الشوك ، ويا أيها السيد أحضر لي كيس الشهد ولا تتعب نفسك كثيراً في هذا العمل ، ويا أيها السيد كن حريصاً فلا تمزق كيس الشهد فأنا أمقت أن يغمرك الشهد أين حبة الخردل ؟ .

حبة الخردل : ها أنا هنا .

بوتوم : أرني قبعتك أيها السيد حبة الخردل ، وآمل أن تتخلى عن هذه التحيات أيها السيد الطيب .

حبة الخردل : ما الذي تبغيه .

بوتوم : لا شيء . فقط أيها السيد الطيب أود منك أن تعاون الفارس نسيج العنكبوت في الحك إذ لا بد لي من الذهاب إلى المزين أيها السيد . إني أرى شعري وقد تدلى على وجهي وإني لحمار رقيق فإذا ما وخزني شعري لجأت إلى الحك .

تيتانيا : هل ترغب في الاستماع لبعض الموسيقى يا حبيبي ؟ .

بوتوم : إن لي أذناً موسيقية لا بأس بها فلنسمع موسيقى الملاقط والعظام .

تيتانيا : ماذا تريد أن تتناول في طعامك يا حبيبي ؟ .

بوتوم : حقاً أريد طعاماً . . أستطيع أن آكل شيئاً من شعيرك الناشف وفيما أظن فإن بي رغبة لحزمة من الكلأ الأخضر إذ ليس للعشب الطيب الحلو من نظير .

تيتانيا : عندي جني جريء ، سأرسله ليفتش عما خبأه السنجاب ويأتي لك بالبندق الجديد .

بوتوم : وربما جاء بحفنة أو حفنتين من البازلاء ولكني أستحلفك ألا تتركي أحداً من رفقتك يزعجني لأني أشعر بطائف النعاس يغشاني .

تيتانيا : نم وسوف أضمك بين ذراعي ، أيها الجن اذهبوا بعيداً وتفرقوا في جميع الدروب .

(يخرج الجن- بينما تتابع تيتانيا) :

كما يلتف الياسمين بحنان حول زهرة العسل ، واللبلاب حول أنامل الدردار الخشنة ، ألا ما أعظم حبي لك . . يا الله كيف أعشقك ! ؟

(ينامان)

(يدخل باك)

أوبيرون : (يتقدم) مرحباً بك يا روبن الطيب هل ترى هذا المشهد الجميل ، إني لأحس

بالشفقة لحبهما لقد قابلتها أخيراً خلف
الغابة تفتش عن هدايا طيبة . لقد أنّبتها
واختصمت معها لأنها كانت تلف صدغة
المشعر بإكليل من الورود الندية والعطرة
ونفس ذلك الندى الذي تراه على البراعم
كبيراً كلآلىء الشرق المستديرة يقف الآن
داخل عيون الأزهار كأنه الدموع التي
تبكي ما لحق بها من مهانة ، وحين
وجهت لهـا مـا أردت من تعنيف
توسلت إلي في هدوء أن ألزم الصبر
فطلبت منها أن تعطيني الفتى ، فأعطته لي
في الحال وأرسلت جنيها يحمله إلى
مكاني في مملكة الجن، والآن فإنني أمتلك
الفتى وسأزيل هذا العيب من عينيها .
وأنت أيها السيد باك أزل هذا المسخ عن
رأس هذا العامل الأثيني ، حتى إذا ما
استيقظ كالآخرين رجعوا جميعاً إلى أثينا
ولم يعودوا يفكرون في أحداث هذه الليلة
إلا على أنها أضغاث أحلام . ولكن علي
أن أحرر أولاً مليكة الجن ، (يلمس
عينيها بالعشب ويكمل) : كوني كما كنت
وأبصري كما أعتدت أن تبصري فإن
لبرعم « ديانا » على زهرة الكيوبيد مقدرة
وسلطاناً مباركاً . والآن يا تيتانيا حبيبتي

استيقظي استيقظي يا مليكتي الحلوة .

تيتانيا : يا حبيبي أوبيرون ما تلك الأحلام التي رأيت ؟ لقد حسبت أني أحببت حماراً .

أوبيرون : هنالك ينام حبيبك .

تيتانيا : كيف مرت بي مثل هذه الأحداث ؟ أوه إن عيني تمقتان مشاهدته الآن .

أوبيرون : اصمتوا قليلاً حتى ينزع روبن هذه الرأس عنه ، تيتانيا مري الموسيقى لتعزف حتى يتحول الرقاد العادي لهؤلاء إلى ما يشبه الموت .

تيتانيا : موسيقى . . موسيقى حتى لكأنها تسحر النوم .

باك : والآن إذا ما استيقظتم فلتبصروا بعيونكم أيها الأغبياء .

أوبيرون : لتعزف الموسيقى . هيا يا مليكتي امسكي بيدي حتى نجعل الأرض ترتجف تحت هؤلاء الراقدين فلقد جددنا عهد الحب بيننا وسنرقص في منتصف ليلة غد في بيت الدوق تاسيوس في احتشام وانتصار ، فنباركه إلى الأبد . ففي ذلك الحفل سيعقد زفاف كل حبيبين وفيين مع تاسيوس لتعم أفراحهم جميعاً .

باك : يا مليك الجن أصغ السمع وميّز فإني أسمع صوت قبَّرة الصباح .

أوبيرون : إذن يا مليكتي سنغادر في هدوء ووقار خلف ظل الليل إذ بمقدورنا أن نطوي الأرض حالاً بأسرع مما يفعل القمر الجوّال .

تيتانيا : تعال يا مولاي وأثناء طيراننا أخبرني كيف حدث ، في هذه الليلة ، أن وجدت نائمة على الأرض مع هؤلاء البشر ؟ .

(يخرجان . . . أصوات أبواق)

(يدخل تاسيوس وإيبوليتا وإيجيوس والتابعون)

تاسيوس : ليذهب أحدكم للبحث عن حارس الغابة فلقد انتهينا من أداء هذا المشهد وما دمنا في مطلع اليوم فستسمع حبيبتي موسيقى كلاب الصيد لتُفَكَّ أربطتها وتطلق في الوادي الغربي . أقول اذهب للبحث عن حارس الغابة .

(يخرج واحد من التابعين)

سنمضي أيتها المليكة الجميلة لنرى هذا التناغم الموسيقي الذي تحدثه الكلاب مع الصدى .

إيبوليتا : لقد كنت مع « هرقل » و« كادموس » ذات

حين لما حاصرا دباً في إحدى غابات كريت بكلاب « إسبارطة » . لم أسمع من قبل مثل نباحها الشجاع ، فلقد بدأت الغابة والسماء والأنهار وكل مكان قريب وكأنها تردد صيحة واحدة ، لم أسمع في حياتي مثل هذا التناغم الموسيقي ولا مثل ذلك الدوي الجميل .

تاسيوس : إن كلاب صيدي من نسل « إسبارطية » . أفواهها واسعة رملية اللون ، وعلى رؤوسها آذان تمسح بها ندى الصباح . سيقانها معوجة وألغادها كبيرة لأنها ثيران « ثساليا » إنها بطيئة الطراد ولكن نباحها متناغم كالنواقيس ، كل صوت ينخفض عن الآخر ، فلم يناد بصوت أو يهلل بصوت بوق في كريت وأسبارطا أو ثساليا أكثر تنغيماً من أصواتها ، ولك أن تحكمي حين تسمعين ذلك . ولكن مهلاً من هؤلاء الحوريات ؟ .

إيجيوس : يا مولاي هذه ابنتي هاجعة هنا وهذا هو ليساندر وهذا ديمتريوس وتلك هيلينا ابنة نيدار العجوز إني لأعجب من وجودهم جميعاً هنا .

تاسيوس : لا عجب فقد استيقظوا مبكرين لرؤية

مراسم شهر أيار (مايو) وعندما علموا بنيتنا على المجيء أتوا في شرف تحيتنا . ولكن أخبرني يا إيجيوس أليس هذا هو اليوم الذي حددناه لتعلن فيه هيرميا عن اختيارها ؟ .

إيجيوس : إنه هو يا مولاي .

تاسيوس : اذهب واخبر رجال الصيد كي يوقظوهم بالأبواق .

(أبواق وصيحات من الداخل . يستيقظون)

صباح الخير أيها الرفاق لقد مر عيد القديس فالنتين فهل بدأت طيور الغابة في التزاوج الآن ؟ .

ليساندر : عفواً سيدي .

تاسيوس : أرجوكم أن تنهضوا جميعاً فأنا أعلم أن كليكما من الأعداء . فكيف حدث في العالم مثل هذا الوفاق الجميل وابتعدت الكراهية عن الغيرة بحيث تنامان على كراهية ولا تخشيان العداوة ؟ .

ليساندر : سأجيب يا مولاي بدهشة ، وأنا ما بين اليقظة والنوم ، ولكن أقسم صادقاً أنني لا أقدر أن أقول كيف جئت إلى هنا غير أنه في ما أذكر ، والآن أحاول أن أتذكر : لقد

جئت إلى هنا مع هيرميا وكنا نوينا أن نفر من أثينا حيث لا يطالنا قانونها .

إيجيوس : كفى ، كفى ، هذا يكفي . يا مولاي إني أطالب بإنزال عقوبة القانون على رأسه . لقد كانا سيهربان . كانا سيهربان يا ديمتريوس ليجردانا معاً من حقوقنا . يجردانك من زوجتك ويجرداني من حقي في الرضا . الرضا بأن تكون هي زوجتك .

ديمتريوس : يا مولاي لقد أعلمتني هيلينا بهربهما إلى هذه الغابة وقد تبعتهما مغضباً . ولكن، يا مولاي ، لا أدري بأية قوة . إن قوة ما أذابت حبي لهيرميا كما يذوب الثلج ، حتى ليبدو لي الآن وكأنه ذكرى دُمْية تافهة تعشقتها أيام الطفولة ، لقد غدا إيماني وما يحتمله فؤادي بل غدا يقيني ومتعة ناظري هي هيلينا وحدها . وهي التي خطبتها يا مولاي قبل أن أبصر هيرميا وإني لكمن أصابه الداء وأكره هذا الطعام وإني لكمن أصابته العافية أعود إلى ذوقي الطبيعي والآن فإني أبتغيها ، أحبها وأحيا من أجلها ، وسأكون وفياً إلى الأبد .

تاسيوس : أيها العاشقون الطيبون ما أسعد لقاءكم .

وسنستمع بعد قليل إلى مزيد من هذا
الحديث . يا إيجيوس سوف لن أنزل عند
رغبتك وسوف تذهب معنا إلى المعبد
حيث يرتبط كل زوجين برباط الزوجية ،
وإذا كان قد انسلخ جزء من هذا الصباح
فلننح جانباً عزمنا على القنص . لتذهبوا
معنا جميعاً إلى أثينا ثلاثة ثلاثة . .
وسنقيم وليمة كبيرة . هيا تقدمي يا إيبوليتا
بكل ما تشتملين عليه من رزانة .

(يخرج تاسيوس وإيبوليتا وإيجيوس والتابعون)

ديمتريوس : تبدو تلك الأشياء صغيرة وغير جلية حتى
لكأنها جبال بعيدة استحالت إلى غيوم .

هيرميا : كذلك أرى هذه الأشياء بعين بعيدة حيث
يظهر كل شيء مزدوجاً .

هيلينا : كذلك أنا لقد وجدت ديمتريوس وكأنه درّة
امتلكها ولا أمتلكها .

ديمتريوس : هل أنت على يقين من أننا في حالة
يقظة ؟ يبدو لي أننا ما زلنا في إغفاءة النوم
نحلم . ألا تعتقدون أن الدوق كان هنا
وأمرنا أن نلحق به ؟ .

هيرميا : أجل . وكان أبي معه أيضاً .

هيلينا : وإيبوليتا .

ليساندر : بل قد أمرنا أن نلحق به إلى المعبد .

ديمتريوس : إذن فنحن مستيقظون وسنتبعه . أما في أثناء الطريق فدعونا نتذكر أحلامنا .

(يخرجون)

بوتوم : (يستيقظ) عندما يأتي أعلموني وسأجيب إن حواري التالي هو يا بيراموس الطيب . هي هو !! يا بيتر كوينس . . فلوت يا نافخ الكير سنوت أيها الحداد ستارفلنغ يا لله . لقد ذهبوا وتركوني نائماً ، لقد رأيت حلماً أعتبره من العجب . لقد حلمت بما لا يقدر عقل الإنسان أن يقول أي حلم هو . سيكون الإنسان حماراً إذا تمادى في تفسير هذا الحلم . أعتقد أني كنت . . . ليس هنالك إنسان يستطيع أن يقول ذلك اعتقدت أني كنت . . . أظن أنه كان لي ولكن الإنسان سيكون أحمقاً أخرق إذا جرؤ على قول ما أظن أنه كان لي . إن عين الإنسان لم تسمع وأذنه لم تر ويده لم تستطع أنِ تتذوق ولسانه لا يتصور وقلبه لا يستطيع أن يروي ما كان في حلمي ، سوف أطلب من بيتر كوينس أن يكتب « بالية » حول هذا الحلم ، سوف تسمى حلم بوتوم لأنه ليس لها قاع وسأنشدها في

ختام مسرحيتنا أمام الدوق وربما غنيتها
بعد مشهد الموت ، حتى تكون أكثر
وقعاً .

(يخرج)

المشهد الثاني

(المكان : أثينا ـ غرفة في بيت كوينس)

(يدخل كوينس وفلوت وسنوت وستارفلنغ)

كوينس : هل أرسلتم أحداً إلى منزل بوتوم ؟ وهل عاد إلى بيته ؟ .

ستارفلنغ : لم يسمع أحد عنه شيئاً ولكن ما من ريب أنه قد عاد إلى وضعه الطبيعي .

فلوت : إذا لم يحضر فستعطل المسرحية ولن يكون باستطاعتنا أن نتابع .

كوينس : ليس بالمسطاع إنجازها بدونه إذ ليس في أثينا كلها من يستطيع القيام بدور بيراموس مثله .

فلوت : هو أحذق الصناع في أثينا .

كوينس : صحيح ، ومن أجمل الناس منظراً بل هو معشوق لجمال صوته .

فلوت : بمقدورك أن تقول إنه مثال للكمال لأن المعشوق ـ حملنا الله ـ لا فائدة منه .

(يدخل سونغ)

سونغ : أيها السادة ، إن الدوق قادم من المعبد وبصحبته اثنان أو ثلاثة من السادة والسيدات تم عقد زفافهم جميعاً وإذا استطعنا أن نؤدي مسرحيتنا بدونا جميعاً بمظهر الرجال .

فلوت : يا لبوتوم الظريف ، لقد خسر ستة بنسات يومياً طوال حياته ، وما كان له أن يخسر هذه البنسات الستة وإذا لم يمنحه الدوق ستة بنسات لقاء قيامه بدور بيراموس فسأشنق نفسي . . إنه يستحقها . . . ستة بنسات نظير دور بيراموس أو لا شيء .

(يدخل بوتوم)

بوتوم : أين هؤلاء الفتية أين هؤلاء الأحباء .

كوينس : بوتوم يا له من يوم معطاء يا لها من ساعة سعيدة .

بوتوم : أيها السادة سأنبئكم بما هو عجيب ولكن لا تسألوني ما هي ؟ لأنني إذا أخبرتكم فلن أكون أثينياً حقيقياً سأروي لكم كل شيء تماماً كما حدث لي .

كوينس : لنستمع إلى بوتوم الظريف .

بوتوم : لن تسمعوا شيئاً الآن . إن كل ما أقدر أن أعلمكم به هو أن الدوق قد تناول طعامه .

هيا احضروا ثيابكم وأعدوا خيوطاً قوية للحاكم وشرائط جديدة لأحذيتكم ولنلتق عند القصر وليراجع كل منكم دوره . وعلى أي حال فإن مسرحيتنا هي المفضلة . ليحصل من يقوم بدور ثسبي على ثياب من الكتان نظيفة ويحرص من يمثل دور الأسد ألا يقلم أظفاره حتى تكون بمثابة المخالب للأسد . وأهم شيء أيها الممثلون الأحباء أن لا تأكلوا بصلاً أو ثوماً حتى تنطلق أنفاسنا زكية ولست أشك في أني سأسمعهم يقولون إنها كوميديا ظريفة .. لا كلام بعد ذلك .. انصرفوا .. هيا .. اذهبوا ..

الفصل الخامس

المشهد الأول

(المكان : أثينا ـ قصر تاسيوس)

(يدخل تاسيوس وإيبوليتا وفيلستراتس وبعض السادة والأتباع)

إيبوليتا : إنه لغريب يا حبيبي تاسيوس ذلك الذي يتكلم به هؤلاء العاشقون .

تاسيوس : إن فيه من العجب أكثر مما فيه من الحقيقة . فأنا لا أؤمن بالخرافات القديمة ولا بألاعيب الجن هذه . إن للمحبين والعشاق ألباباً حارة ، وخيالات متوهمة تستوعب أكثر مما يعيه العقل الرزين . فالمجنون والعاشق والشاعر يلتقون جميعاً في خاصية التخيل ؛ أحدهم يرى من الشياطين ما لا يستوعبه الجحيم الواسع ، ذلك هو المجنون . وأما العاشق فبصفته مهووساً فهو يرى جمال هيلين في حاجب غجرية . وأما عين الشاعر فإنها في زخة جنون ظريف تنقلب من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء . ولما كان الخيال يجسِّد أشكال بعض الأشياء غير

المعروفة فإن ريشة الفنان تحيلها إلى أشكال وتعطي للخواء الهوائي مكاناً واسماً فهذه الحيل هي من الخيال القوي الذي إذا استشعر شيئاً من المتعة ظن أن أحداً قد أتى بتلك المتعة ولعله إذا تخيل شيئاً من الرعب في الليل فما أهون أن يتصور الشجرة إلّهاً .

إيبوليتا : ولكن حكاية هذا الليل كما يروونها وقد اتفقت ألبابهم جميعاً مع بعضها بعضاً لشاهد على أنها أكثر من مجرد أوهامٍ وخيالات فهي تدل على شيء أكثر إتزاناً على الرغم مما يثيره من دهشة وغرابة .

(يدخل ليساندر وديمتريوس وهيرميا وهيلينا)

تاسيوس : ها قد أتى العاشقون وأفئدتهم عامرة بالفرح والبهجة . امرحوا أيها الأصدقاء الأحباء . . . ابتهجوا وأتمنى لكم أياماً مفعمة بالحب .

ليساندر : ونتمنى لك خيراً منها بل ندعو لك أن تبقى في مركزك الملكي وأن تهنأ في مجلسك ورقادك .

تاسيوس : هلمّ الآن . أية تمثيلية تنكرية وأية رقصات لدينا في هذا اليوم نمضي بها هذه الساعات الثلاث الطوال ما بين العشاء

والنوم . أين مدير المرح ؟ أي ضروب
المرح بمتناول أيدينا ؟ أليست هنالك
مسرحية نزيل بها متاعب ساعة مضنية .
أدعو فيلسترات .

فيلسترات : ها أنذا يا تاسيوس العظيم .

تاسيوس : قل يا فيلسترات أي شيء لديك في هذه
الأمسية ؟ أي عمل تنكري وأي موسيقى ؟
كيف نتسلى في هذا الوقت البطيء إذا لم
يكن لدينا شيء من البهجةوالمرح ؟ .

فيلسترات : ها هو بيان بما لدينا في هذه الأمسية
ويمكن لسموك أن تختار ما تريد مشاهدته
أولاً .

(يعطيه الورقة)

تاسيوس : المعركة مع القنطروس . ينشدها خصي
أثيني على القيثارة . لا نرغب في ذلك .
لقد رويتها لحبيبتي بشيء من الزهو فهي
تروي قصة قريبيهرقل . ثورةالسكارى في
حقل العربدة ، حين مزقوا المغني التراقي
خلال هياجهم ؛ تلك لعبة قديمة وقد
مثلت أمامي حين رجعت آخر مرة من طيبة
فاتحاً . آلهات الفنون الجميلة التسع ،
يأسين لموت المعرفة ، التي قضت وهي

تستعطي هذه فيها سخرية ونقد لاذع ولكنها لا تناسب حفل زواج مشهد مضجر ومختصر عن الشاب بيراموس وحبيبته ثسبي . مرح درامي للغاية ، مرح ومأساة ، ممل ومختصر هذا هو الثلج الحار ويا له من ثلج غريب كيف يقع الاتفاق في مثل هذا الاختلاف ! .

فيلسترات : طول المسرحية يا مولاي حوالي عشر كلمات وهي أقصر مسرحية عرفتها وبالرغم من أنها عشر كلمات فهي طويلة يا مولاي وهي مضجرة إذ ليس فيها كلمة مناسبة أو ممثل واحد صالح لمثل هذا العمل ، وهي درامية يا مولاي النبيل ؛ ذلك أن بيراموس ينتحر فيها ولعلي أعترف أني حين رأيت تجربتها انسكبت من عيني الدموع ولكن للحقيقة فإن الضحك العالي لم يذرف من العين دموعاً أكثر مرحاً من تلك .

تاسيوس : ومن الذي يمثل فيها ؟ .

فيلسترات : إنهم رجال خشنو الأيدي ويعملون هنا في أثينا . وهم لم يعتادوا إعمال عقولهم حتى الآن . غير أنهم قاموا بتحريك ذكرياتهم الصدئة بهذه التمثيلية من أجل الاشتراك .

في حفل قرانك .

تاسيوس : ونحن سنستمع إليهم .

فيلسترات : لا يا مولاي النبيل ، إنها لا تلائم مركزك . لقد استمعت إليها بأكملها فهي لا شيء ، لا قيمة لها في هذا العالم ، إلا إذا أحببت أن تتسلى بمحاولتهم . فهم قد أمضوا وقتاً طويلاً وتحملوا الألم القاسي لأجل خدمتك .

تاسيوس : سأستمع إلى تلك المسرحية ، فليس من شيء يعتبر ناقصاً إذا اتسم بالبساطة والإرادة في أداء الواجب . اذهب واحضرهم ولتأخذ السيدات أماكنهن .

(يخرج فيلسترات)

إيبوليتا : لا أحب أن أرى المساكين يتحملون فوق طاقتهم ويفنون في سبيل أداء الواجب .

تاسيوس : لن تري شيئاً من ذلك أيتها الحبيبة .

إيبوليتا : ولكنه يقول إنهم ليسوا بقادرين على مثل هذا العمل .

تاسيوس : سنكون أكثر حناناً وعطفاً حين نشكرهم على لا شيء ، فقد نجعل تسليتنا في أخطائهم وما لا يقدر الجهد المتواضع أن يفعله فإن الاحترام النبيل يقدر الجهد لا

الجدارة . ففي كل مكان أذهب إليه يقبل
الموظفون الكبار على الترحاب بي
بخطوات ترحيبٍ أعدت سلفاً . وفي كل
مرة أراهم يرتجفون ويبدون شاحبين ،
يتوقفون في أواسط الجمل ، يختنقون في
إلقائهم من الخوف . وفي النهاية يصيبهم
العي والعجز فيتوقفون دون أن يرحبوا
بي . ثقي يا حبيبتي لقد استشعرت
الترحاب في هذا السكون ، ولقد قرأت
في التواضع بسبب خشية الواقع ما اعتدت
أن أسمعه من اللسان الزلق الناطق بالكلام
المنمق والفصاحة الجريئة . فالحب إذن
والبساطة الصامتة وإن قلّت تعبّر بصورة
أكثر عن مكانتي .

(يدخل فيلسترات)

فيلسترات : يا صاحب السمو سوف تقدم الافتتاحية الآن .

تاسيوس : فليتقدم صاحبها .

(يقرع النفير)

(يدخل كوينس كمقدم للافتتاحية)

كوينس : معذرة ! إذا أخطأنا فقد أتينا مدفوعين
بحسن نيتنا ، وأرجو أن تعلموا أننا لم نأت
للإساءة إلى أحد بل أتينا تدفعنا النوايا

الحسنة لنبدي قدراتنا المتواضعة فهذه هي البداية الحقيقية لهدفنا . اعتبروا إذن أننا أتينا مرغمين ليس من أجل إرضائكم بل لإدخال الفرحة إليكم . ونحن لم نأت لنجعلكم تشعرون بالندم فالممثلون أمامكم ومن خلال تمثيلهم ستعلمون عنهم كل ما ترغبون أن تعلموه .

تاسيوس : هذا الرجل لا يحسن الوقوف في مواضع الوقف .

ليساندر : لقد تلا الافتتاحية وكأنه مهر غير مروَّض فهو لا يعرف أين يقف ، ولعل في ذلك حكمة يا مولاي ، إذ ليس المهم أن يتكلم الإنسان بل المهم أن يتكلم بصدق .

إيبوليتا : صحيح . لقد عبث في افتتاحيته وكأنه طفل يعزف على مزماره فهو يخرج أصواتاً ولكن دون أن يضبطها .

تاسيوس : إن حديثه لشبيه بسلسلة تعقدت ، لم يفسد منها شيء إلا أن نسقها قد اختل من سيأتي بعده ؟ .

(يدخل بيراموس ، تسبي ، حائط ، أشعة القمر ، وأسد)

صاحب الافتتاحية أيها السادة ، ربما تدهشون لهذا العرض

وقد تستمرون في دهشتكم حتى يبين الحق كل شيء بوضوح ، هذا الرجل هو بيراموس إذا كنتم تعرفونه وهذه السيدة الجميلة هي بالتأكيد ثسبي . وهذا الرجل الذي عليه شيء من الجير والجبس يمثل جداراً ذلك الجدار اللئيم الذي حال بين الحبيبين . ولقد قنع هذان المسكينان بأن يتهامسا من خلال فتحة في الجدار فلا يعجب أحد لذلك . أما هذا الرجل ذو القنديل والكلب وحزمة الأشواك فإنه يمثل ضوء القمر لأنه إذا كنتم لا تعلمون فإن هذين العاشقين لم يريا بأساً في اللقاء وتحت ضوء القمر عند ضريح نينوس من أجل أن يتبادلا الحب . أما هذا الوحش المفترس والذي اسمه الأسد فهو الذي أخاف ثسبي الوفية حين أتت أولاً بالليل وهو الذي أخافها . وعند هروبها سقط وشاحها فلطخة هذا الأسد الشرير بفمه الدموي ، وبعد ذلك أتى بيراموس ، وكان شاباً لطيفاً وطويلاً ، فوجد وشاح حبيبته ملطخاً بالدماء فسحب خنجره الدموي وببسالة غرسه في صدره الفائر بالدماء بينما كانت ثسبي تختبيء في ظل شجرة التوت وهكذا سحبت بلطته وقتلت

نفسها وفيما تبقى فيستغرق الأسد وضوء القمر والجدار في حوار طويل ، وها أنتم تشاهدونهم أمامكم .

(يخرج صاحب الافتتاحية وبيراموس وثسبي والأسد وضوء القمر)

تاسيوس : إني لأعجب كيف بمقدور الأسد أن يتكلم ! .

ديمتريوس : لا عجب يا مولاي في أن يتكلم أسد واحد ما دام كثير من الحمير يتكلمون .

الحائط : ويحدث في هذه المسرحية نفسها أن أقوم أنا سنوت بدور الجدار ، وهو جدار أود منكم أن تتصوروا فيه فتحة يتهامس ـ من خلالها ـ المحبان بيراموس وثسبي سراً .
وما ترونه من صلصال وجير وحجر يبين أنني أنا الجدار نفسه وتلك هي الحقيقة وهذا الشق حقيقي ومشؤوم يتهامس من خلاله المحبان الخائفان .

تاسيوس : هل يريدون أن يتكلم الجير والشعر بأحسن من ذلك ؟ .

ديمتريوس : هذا أذكى جدار سمعته يتكلم يا مولاي .

تاسيوس : بيراموس يدنو من الجدار . سكوت .

(يدخل بيراموس)

بيراموس : أيها الليل الدامس يا ذا اللون الحالك السواد أيها الليل الذي يأتي دائماً حين يأفل النهار أيها الليل ، أيها الليل وأسفاه وأسفاه وأسفاه . إني لأخاف أن تنسى ثسبي وعدها وأنت أيها الجدار أيها الجدار الحلو الجميل تقف بين أرض أبيها وأرضي . أرني شقك لأنظر من خلاله بعيني .

(يرفع الجدار إصبعه)

شكراً لك أيها الجدار المجامل حُسن رب الأرباب . ولكن ماذا أرى ؟ إني لا أرى ثسبي . أوه أيها الجدار اللئيم الذي لا أرى من خلاله سعادة لعنة على حجارتك لأنها خدعتني .

تاسيوس : بما أن الجدار يعقل فلا بد له أن يجيب الإساءة .

بوتوم : لا بل يجب في الحقيقة يا مولاي ألا يفعل ذلك ، إن جملة إنك خدعتني هي الإشارة التي تدل على دور ثسبي . إنها ستدخل الآن وسأراقبها من خلال الجدار وسنرى أنها ستسقط على نفس الصورة التي أخبرتك بها .

(تدخل ثسبي)

ها هي آتية .

ثسبي : أيها الجدار لطالما سمعتَ تأوهاتي لفراق حبيبي بيراموس الجميل ولطالما لثمت شفتاي شبيهتا الكرز حجارتك تلك الحجارة التي شيدت من الجير والشعر .

بيراموس : ها إني أبصر صوتاً وعليّ الآن أن أنظر من خلال الشق لأرى إن كنت أستطيع أن أسمع وجه حبيبتي ثسبي . . ثسبي .

ثسبي : يا حبيبي أنت حبيبي فيما أعتقد .

بيراموس : أعتقدي كما تشائين فأنا حبيبك . وكما كان « ليساندر » مخلصاً فأنا ما زلت أيضاً مخلصاً .

ثسبي : وأنا مخلصة مثل هيلينا إلى أن يميتني القدر .

بيراموس : لم يكن « شفالوس » أصدق « لبروكروس » مني إليك .

ثسبي : كذلك فأنا مخلصة لك إخلاص شفالوس لبروكروس .

بيراموس : أوه قبليني من فتحة هذا الجدار المشؤوم .

ثسبي : إذا فعلت ذلك فأنا ألثم فتحة الجدار ولا

أقبل شفتيك .

بيراموس : إذن هل تذهبين مباشرة عند ضريح نينوس ؟ .

ثسبي : إني ذاهبة إليك بالتو سواء قادني ذلك إلى الحياة أو الموت .

(يخرج بيراموس وثسبي)

الحائط : هكذا انتهى دوري كجدار وبما أن الدور قد انتهى فإن الجدار يذهب .

(يخرج الجدار)

تاسيوس : والآن هل يرى القمر بين الجارين ؟ .

ديمتريوس : لا صلاح يا سيدي إذا كانت الجدران قادرة على الإنصات بغير تحذير .

إيبوليتا : هذه أسخف مادة سمعتها في حياتي .

تاسيوس : ليست أفضل المسرحيات من هذا الصنف إلا خيالات وليس أكثرها سوءاً بشيء إذا أصلحها الخيال .

إيبوليتا : إنه خيالك أنت إذن وليس خيالهم هم .

تاسيوس : إذا كنا لا نتخيلهم أكثر سوءاً مما يعتقدون بأنفسهم فإنهم يكونون بذلك رجالاً ممتازين .

(يدخل الأسد وضوء القمر ويتابع تاسيوس)

والآن ها هما حيوانان يدخلان أحدهما يقوم بدور أسد والآخر يقوم بدور القمر .

الأسد : أيتها السيدات اللاتي تخاف قلوبهن الرقيقة من أصغر فأر دميم يدب على الأرض ربما ارتجفن الآن وارتعبن لزئير أسد مفترس وهو في ثورة غضب ، ولكن فاعلمن أنني أنا النجار سونغ ، أقوم بدور الأسد ولا يوجد أسد حقيقي أو أنثى أسد لأنه إذا أتيت كأسد لأكافح في مثل هذا المكان فإنني سأستحق الشفقة .

تاسيوس : هو حيوان شريف وذو ضمير حي .

ديمتريوس : إنه أحسن وحش رأيته يا مولاي .

ليساندر : هذا الأسد ثعلب في شجاعته .

تاسيوس : حقاً وهو أوزة في حكمته .

ديمتريوس : ليس الأمر كذلك يا مولاي لأن شجاعته لا تنقلب على حكمته في حين يتغلب الثعلب على الأوزة .

تاسيوس : إني متأكد أن حكمته لا تتغلب على شجاعته لأن الأوزة لا تتغلب على الثعلب ولكن حسناً لندعه إلى حكمته ونستمع إلى القمر .

ضوء القمر : إن هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين .

ديمتريوس : كان عليه أن يضع القرنين على رأسه .

تاسيوس : إنه ليس بهلال لذلك فإن قرنيه لا يشاهَدان داخل دائرة الضوء .

ضوء القمر : إن هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين وأنا أقوم بدور الرجل الذي يبدو داخل القمر .

تاسيوس : هذا أكبر من جميع الأخطاء ، إذ يجب أن يكون الرجل داخل القنديل وإلا فكيف يكون الرجل داخل القمر بغير هذا ؟ .

ديمتريوس : إنه لا يستطيع أن يدخل بسبب الشمعة وكما تشاهدون فإنها توشك على الانطفاء .

إيبوليتا : إني أشعر بالضيق من هذا القمر . . أفلا يمكن له أن يتغيرّ .

تاسيوس : إنه آخذ في التناقض بسبب ضآلة الضوء ولكن التزاماً للحكمة والمجاملة فإن علينا أن ننتظر حتى النهاية .

ليساندر : استمر يا قمر .

ضوء القمر : كل ما يجب أن أقوله هو أن أنبئكم أن القنديل هو القمر وأنا الرجل الذي داخل القمر وإن حزمة الأشواك هي حزمة أشواكي وهذا الكلب هو كلبي .

ديمتريوس : ولماذا لا يكون جميع هؤلاء داخل القنديل ما دامت هذه جميعاً داخل القمر ؟ ولكن لنكف عن الكلام فها هي ثسبي تدخل .

(تدخل ثسبي)

ثسبي : هذا هو ضريح « نيني » العجوز أين حبيبي ؟ .

الأسد : (يزأر) (تفر ثسبي) أوه .

ديمتريوس : أحسنت زئيراً أيها الأسد .

تاسيوس : وأحسنت جزياً يا ثسبي .

إيبوليتا : وأحسنت نوراً يا قمر ، حقاً إن القمر ينير في بهاء .

(يمزق الأسد وشاح ثسبي)

ثسبي : أحسنت تمزيقاً يا أسد .

(يدخل بيراموس)

ديمتريوس : والآن يأتي بيراموس .

بيراموس : أيها القمر المتلألىء أشكر أشعتك الشمسية ، أشكرك أيها القمر لأنك تنير الآن في وضوح ، ولأنه بفضل أشعتك البهية الذهبية اللامعة أستطيع أن أنعم بمشاهدة ثسبي الوفية ولكن أنتظر . يا للهول حاول أن تميز أيها الفارس المسكين أي حزن فظيع هنا !؟ هل

تبصرين أيتها العينان ؟ كيف حدث هذا ؟
أيتها البطلة الرقيقة ، أيتها العزيزة ها هو
وشاحك الجميل ما هذا ؟ ملطخ بالدم ؟
إقتربي يا آلهات الثأر تعالي أيتها الأقدار
لتقطعي الخيط والعقد . اصفعي ،
حطمي ، أحسمي ، إقمعي .

تاسيوس : مثل هذا الألم بالإضافة إلى موت صديق عزيز يكاد أن يؤدي بالإنسان إلى الحزن .

إيبوليتا : قسماً إن فؤادي ليأسى للرجل .

بيراموس : أوه لماذا خلقتِ الأسد أيتها الطبيعة . فها هو أسد شرير قد قضى على حبيبتي .
التي .. لا .. لا .. التي كانت أحلى
فتاة ، والتي عاشت وعشقت وأحبت ،
والتي كانت تنظر في بهجة . تعالي أيتها
الدموع اهملي ، ولتجرد أيها السيف
لتجرح صدر بيراموس نعم في الجانب
الأيسر حيث يدق القلب .

(يطعن نفسه)

هكذا أموت .. هكذا .. هكذا ..
هكذا الآن أنا ميت ، والآن قد صعدت
روحي إلى السماء ، أيتها الشمس ليذهب
نورك عنك ، أيها القمر ولِّ الأدبار .

(يخرج ضوء القمر)

والآن أموت . . أموت أموت . . أموت .

(يسقط ميتاً) .

ديمتريوس : ميتة واحدة تكفيه فهو رجل واحد .

ليساندر : بل أقل من رجل ، لأنه ميت . هو لا شيء .

تاسيوس : ربما استفاق بمعونة جراح ليتبين أنه حمار .

إيبوليتا : كيف اتفق لضوء القمر أن يغادر قبل أن ترجع ثسبي لتكتشف ما حدث لحبيبها ؟ .

تاسيوس : ستكتشف ذلك بضوء النجوم ها هي آتية وآلامها . ستنهي المسرحية .

(تدخل ثسبي)

إيبوليتا : أظن أنه من الواجب ألا تحزن كثيراً على بيراموس ، وإني لأرجو أن تختصر دورها .

ديمتريوس : أقل شيء سوف يرجح إحدى كفتي الميزان لنرى أيهما أفضل بيراموس أم ثسبي . ولكونه رجلاً فليشملنا الله بعنايته ولكونها امرأة فليباركنا الله .

ليساندر : لقد شاهدته بهاتين العينين الجميلتين .

ديمتريوس : وبذلك فهي تعني أن النظر مسموح به .

ثسبي : هل أنت نائم يا حبيبي ؟ ماذا ؟ هل أنت ميت يا حمامتي . أوه . . بيراموس . . قم تكلم . . تكلم . إنه صامت تماماً أميت ؟ أميت ؟ هل سيضم لحدُ ، عينيك الحبيبتين وهل ستذهب هاتان الشفتان الورديتان وهذه الأنف الكرزية ، وهاتان الوجنتان الصفراوان كزهر الحقول . لتحزنوا أيها المحبين فقد كانت عيناه خضراوين كالكرّات . أيتها الأخوات الثلاث تعالين ، تعالين إليّ بأياد شاحبة كاللبن واغمسنها في الدم ما دمتم قد قطعتم بالمقص خيط حياته الحريري . لا تنبسوا ببنت شفة . تعال أيها السيف الموثوق ، تعال أيها الحسام لتخضب صدري بالدم .

(تطعن نفسها)

وداعاً أيها الأصدقاء هكذا تنتهي ثسبي وداعاً وداعاً وداعاً وداعاً .

(تسقط ميتة)

تاسيوس : لقد ظل ضوء القمر والأسد لدفن الموتى .

ديمتريوس : أجل ، والجدار كذلك .

بوتوم : لا أؤكد لكم أن الجدار الذي كان يفصل

بين آبائهما قد تهدم . هل يبهجكم أن تشاهدوا النهاية أم تفضلون رقصة إيطالية يقوم بها اثنان من فرقتنا ؟ .

تاسيوس : لا نريد النهاية وأرجوكم لا نريد أعذاراً لمسرحيتكم ؛ لأنه حين يموت جميع الممثلين لا يظل أحد يوجه إليه اللوم ، وكم كان جميلاً لو أن الذي كتب المسرحية قام بدور بيراموس وشنق نفسه برباط ساق ثسبي لربما أصبحت دراما جميلة وهي حقاً كذلك وقد مثلت بطريقة مميزة والآن دعوا خاتمتكم جانباً وابدأوا بالرقص الإيطالي .

(يبدأ الرقص) ويتابع تاسيوس

لقد دق اللسان الحديدي لمنتصف الليل اثنتي عشرة دقة ، وهو بذلك يدعو العاشقين إلى النوم ، فهذه هي ساعة الجن وإني لأخشى أن نتخطى برقادنا الصباح التالي تماماً كما تخطينا هذا الليل بسهرنا ، فهذه المسرحية الظاهرة السماجة أدركت كيف تخدعنا عن خطى الليل البطيئة . هيا إلى الرقاد أيها الأصدقاء الأحباء فسنواصل هذا الاحتفال مدى

أسبوعين عامرين بالمرح والبهجة المتجددة .

(يخرجون)

(يدخل باك)

باك : الآن يزأر الأسد الجائع ويعوي الذئب وجه القمر ، في حين « يشخر » الحارث المستغرق في النوم بعد أن أتعبه العمل المتعب . ها هي الأنوار الخافتة تبدأ في الوميض بينما البومة الناعقة ترفع صوتها بالنعيق لتثير في المحزون الراقد بعشقه ذكريات أكفانه ، هذا هو الأوان من الليل الذي تتفتح فيه القبور واسعة ويطلق كل منها ما فيه من روح لتسبح وتسري في الدروب المؤدية إلى الكنيسة أما نحن الجن الذين نعدو بعربة « هيكاتا » ذات الجياد الثلاثة فراراً من رؤية الضوء فنتبع الظلام كأنه حلم . هذا هو وقت مرحنا وما من فأر يمكن أن يزعج هدوء هذه الدار الخاوية ولقد أرسلت بمكنستي لأكنس التراب من خلف الباب .

(يدخل أوبيرون وتيتانيا والجن)

أوبيرون : على الرغم من أن البيت تشع فيه الأنوار الوامضة منبعثة من النار الخامدة وغير

المتوهجة فيمكن لكل واحد من الجن والأرواح أن يثب كالضوء أو كالطائر على الدوحة يصدح من ورائي هذه الأغنية ويرقصها برشاقة .

تيتانيا : عليكم أولاً أن تحاولوا حفظ أغنيتكم وليكن لكل كلمة لحن مميز لنبدأ الآن الغناء معاً برشاقة الجن وليبارك هذا المكان .

(الأغنية يؤديها كورس الجن مع الرقص)

أوبيرون : والآن ، حتى ينتشر نور الصباح ، على كل جني أن يهيم في هذا البيت ويدعو لكل ذرية تنشأ فيه بالسعادة الأبدية لنبارك فراش خير العرائس ، ونرجو أن يبقى الحب بين الأزواج الثلاثة إلى الأبد وإلا تقف يد الطبيعة الملطخة عثرة في درب أبنائهم فلا يظهر فيهم خال أو شفة مشرومة أو ندب ولا أي أثر ظاهر مما يستهجنٍ من الطبيعة . ليأخذ كل جني سبيله متنقلاً في كل حجرة في هذا القصر ويدعو أن يختم عليها السلام وأن يكتب على باب القصر بالسعادة وأن يستقر فيه في أمن إلى الأبد ثم ترجعون ثانية دون تأخير لتقابلوني عند انبلاج الفجر .

الخاتمة

: إذا كنا نحن الأطياف قد أسأنا ففكروا في
هذا وسيصلح كل شيء . لقد داخلكم
الوسن وأنتم تشاهدون هذه الرؤى تتراءى
أمامكم ولا ريب في أن هذا موضوع
ضعيف ومضجر ، وليس له من أثر إلا كما
يكون للحلم .
أيها السادة لا تأنبونا ، فإذا سامحتم فربما
أصلحنا أمرنا وبما أني باك الأمين أقول
لكم : كان من حسن حظنا الذي لم نعمل
له أن نجونا من لسان الحية الناقد غير أنه
لن يمضي زمن طويل حتى نحسن أداءنا .
وإذا لم نفعل فيمكنكم أن تصموا « باك »
بالكذب وأقول لكم ختاماً :
طبتم مساءً وصفقوا إذا رأيتم إننا نستحق
صداقتكم ولا يسع « روبن » إلا أن
يعدكم بالأفضل .

(يخرج)

(ختام)

روائع شكسبير

* الملك لير
* هملت
* عطيل
* كليوباترا
* العاصفة
* يوليوس قيصر
* تاجر البندقية
* ريتشارد الثالث
* روميو وجولييت
* سيدان من فيرونا
* حلم ليلة صيفية